

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur

Et de la Recherche Scientifique

Université Amar Têlidji- Laghouat

Faculté des Sciences Humaines et Sociales

Département des Sciences Islamiques



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار تليجي-الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم العلوم الإسلامية

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

محاضرات في العقيدة الإسلامية

موجهة لطلبة السنة الثانية أصول الدين

_ السداسي الرابع _

جمع وترتيب الدكتور: خيرالدين شرقي

السنة الجامعية: 1447_1448 هـ . 2025 م _ 2026 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تُعد مسألة النبوة والوحي من أعظم قضايا العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان، لما لها من صلة مباشرة بتصديق رسالة الإسلام ومصدرها الإلهي. ويهدف هذا المقياس إلى تعريف الطالب بمفهوم النبوة والوحي في العقيدة الإسلامية، من حيث حقيقتها، وأهميتها، ودلالاتها، وشروطها، وما يتصل بها من قضايا مركزية مثل المعجزة، العصمة، وختم النبوة.

كما يسعى المقياس إلى إعداد الطالب معرفيًا ومنهجيًا للتخصص في مجال العقيدة الإسلامية ومقارنة الأديان، من خلال تزويده بالأدوات العلمية اللازمة لفهم هذه المفاهيم، والتمييز بينها كما وردت في الإسلام مقارنةً بما تقرّه الديانات الأخرى.

ويُبنى هذا المقياس على أساس ما اكتسبه الطالب في السداسيين الأول والثاني من معارف حول أركان الإيمان والإسلام، وما حفظه من آيات قرآنية تتناول موضوع الوحي والنبوة، ليتمكن بعد ذلك من التعمق في مسائل أكثر تخصصًا.

ومن بين القدرات التي يُنتظر أن يكتسبها الطالب بعد دراسة هذا المقياس: الإلمام الدقيق بمفهوم النبوة والوحي كما تقرّه العقيدة الإسلامية، والقدرة على التمييز بين النبوة والرسالة، وكذلك مقارنة المفاهيم المرتبطة بهما في غير الإسلام.

وتتضمن مفردات هذا المقياس جملة من المحاور الرئيسة، منها: تعريف الوحي والنبوة، الفرق بين النبوة والرسالة، إمكانية النبوة وضرورتها، الحاجة إلى النبوة، حقيقة النبوة، علامات وشروط النبوة، المعجزة والكرامة، الفرق بين معجزات النبي مُحَمَّد ﷺ والمعجزات السابقة، ختم النبوة، عصمة الأنبياء، أثر الإيمان بالنبوة، علاقتها بالإيمان بالله والقرآن الكريم، إضافة إلى مباحث تتعلق بعلاقة النبوة بالولاية والإمامة.

المحاضرة الأولى حول الوحي

1. تعريف الوحي

1. المعنى اللغوي: الوحي مصدر بمعنى الإشارة السريعة الخفية، يقال: أوحيت إلى فلان، إذا

كلمته بسرعة وخفية، وأوحى وأوماً إلى فلان بمعنى أشار، وأوحى الله إليه ألهمه¹

وقد ورد في القرآن الكريم استعمال هذه المعاني، من ذلك:

أ- الإلهام الغريزي للحيوان كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾²

ب- الوسوسة بالشر سواء أصدرت من إنسان إلى إنسان أم من شيطان، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾³

وفي السورة نفسها ...: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾⁴

ج- وبمعنى أشار وأوماً ورد قوله تعالى في سورة مريم عن زكريا عليه السلام:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾¹.

¹ معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6 / 93، مادة وحي

² سورة النحل، الآية 68

³ سورة الأنعام، الآية 112.

⁴ سورة الأنعام، الآية 121.

فالوحي هنا لا يجوز أن يكون المراد به الكلام، لأن الكلام كان ممتنعاً عليه؛ لقوله تعالى في الآية التي

قبلها ... : ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾²

فالواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم إلى غيرك، فالوحي الإشارة، والوحي الكتاب

والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان.

قال الرازي: والأشبه بالآية هو الإشارة، وهو أن يعرفهم ذلك إما بالإشارة أو برمز مخصوص لقوله تعالى

في سورة آل عمران: ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾³ ، والرمز لا يكون كتابة

للكلام.⁴

2. المعنى الشرعي:

عرفه العلماء الوحي بتعريفات كثيرة منهم من أسهب. فقال: الوحي هو أن يعلم الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.

وعرفه الشيخ محمد عبده: بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه على اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو

غير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام، أن الإلهام

وجدان تستيقنه النفس فتتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان

الجوع والعطش والحزن والسرور.

¹ سورة مريم الآية 11

² سورة مريم، الآية 10

³ سورة آل عمران، الآية 41

⁴ التفسير الكبير، ج 1، ص 190.

ومنهم الموحز في تعريفه بقوله: كلام الله المنزل على نبي أنبيائه.

كل هذه التعريفات لم تخل من مقال ونقد. وأفضل التعريفات وأحسنها ما قاله ابن حجر في فتح

الباري: الوحي هو الإعلام بالشرع (أو) إعلام الله لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه¹

أو ما روي عن الزهري حين سئل عن الوحي فقال: الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء فيثبتته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله²

وبعد: فلا يسعنا بعد أن عرفنا الوحي بمعنييه: اللغوي والشرعي إلا أن نسأل، هل وحي الله تعالى إلى أم موسى ينتسب إلى الحقيقة اللغوية أو إلى الحقيقة الشرعية؟.

3. دليل الوحي:

إن الدليل على أن حقيقة الوحي شرعي لا عقلي، لأنه من الأمور الغيبية التي لا يقع عليها الحسّ، والذين يدللون على الوحي بالأدلة العقلية- ولو بحسن نية- إنما هم واهمون ومخطئون، فإن للعقل دائرته التي لا يتعداها، فهو يسلمنا إلى حقيقة وجود الخالق ويرشدنا إليه، فإذا ما أسلمنا إلى هذه الحقيقة فقد هدانا إلى الإيمان الذي من مقتضياته التسليم بما أخبرنا من أدلة

¹ فتح الباري، ج 1، ص 9.

² الإلتقان في علوم القرآن مبحث الوحي، ج 1/ص 14.

قطعية، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾¹، وقال

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾²

وقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾³

ويكفي دلالة على حقيقة الوحي إعجاز القرآن، الذي أثبت عقلا أنه منزل من الله على رسوله، وإن من آياته المعجزة ما دلنا على الوحي ومصدره، والنازل به والمنزل عليه، والكيفية والحالة التي نزل بها. أما التدليل على حقيقة الوحي بالأدلة العلمية لتقريبه للعقل فهو مجاف للصواب.

لقد ذهب بعض العلماء يفتشون لنا عن المقررات العلمية لإثبات القضايا الغيبية، فوجدوا الدليل الأول في التنويم المغناطيسي، فقالوا: إن الذي كشف هذا هو الدكتور مسمر العالم الألماني في القرن الثامن عشر، وجاهد هو وأتباعه مدى قرن كامل من الزمان في سبيل إثباته، وحمل العلماء على الاعتراف به، وقد نجحوا في ذلك، فاعترف العلماء به علميا بعد أن اختبروا به الآلاف المؤلفة من الخلق، واطمأنوا إلى تجاربه - هكذا يقول صاحب مناهل العرفان - وأخيرا أثبتوا بوساطته ما يأتي:

١ - أن للإنسان عقلا باطنا أرقى من عقله المعتاد كثيرا.

¹ سورة النساء، الآية 163،

² سورة الشورى، الآية 52.

³ سورة النجم الآيات 3، 4

إن أراد بهذا الكلام إقناع المسلمين بوقوعه، فإن المسلم يكفيه قول الله، وإن أراد أن يدلل لغير المسلم بهذه الواقعة على إمكانية حدوث الوحي في عالم الواقع فإن هذا الكلام يشككه حين

٢ - أن الإنسان النائم في حالة التنويم المغناطيسي يرى ويسمع من بعد شاسع، ويقراً من وراء حجاب، ويخبر عما سيحدث مما لا يوجد في عالم الحس أقل علامة لحدوثه، ثم ذكر ما يزيد على ثماني حالات وصفها بأنها حقائق علمية لا مجال للشك فيها.

ثم قال: وإننا نضع بين يديك تجربة واحدة من تجارب التنويم المغناطيسي تقرب إليك الوحي كل التقريب، وهذه التجربة رأيتها بعيني وسمعتها بأذني بنادي جمعية الشبان المسلمين، وعلى مرأى ومسمع جمهور مثقف كبير¹

ثم بعد أن ساق التجربة قال: وبهذه التجربة - أيضاً - يثبت لي أنا من طريق علمي ما قرب إليّ الوحي علمياً، وما جعلني أعلله تعليلاً علمياً، فالوحي عن طريق الملك عبارة عن اتصال الملك بالرسول يؤثر به الأول في الثاني، ويتأثر فيه الثاني بالأول، وذلك باستعداد خاص في كليهما². هذا الدليل العلمي الأول.

¹ مناهل العرفان، ج 1، ص 59.

² نقس المصدر، ج 1، ص 61، 62.

أما الثاني فهو أن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به، مما يسمونه التلفون واللاسلكي والميكروفون والراديو، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله عن أن يوحى إلى عباده ما شاء عن طرق الملك أو غير الملك.

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. أما الدليل الثالث: فقد قال فيه: استطاع بعض العلماء أيضا أن يملأ بعض الأسطوانات من الجماد الجامد بأصوات وأنغام على وجه يجعله يحاكيه بدقة وإتقان كما هو بالفونوغراف.

يزعم أن العقل الباطني أرقى من عقله الظاهر وبهذا يستطيعون الزعم أن الوحي ظاهرة لا تدل على صدق مدعيها.

وأخيرا فقد استدللّ بالدليل الرابع ودخل عالم الحيوان فقال: إننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتي بعجائب بعض الأنظمة والأعمال. وإذا صح هذا في عالم الحيوان فهو يكون أتم من ذلك ما يكون بطريق الوحي ويضرب لك المثل بالحيوان الذي اسمه «أكسيكلوب»

وهكذا استرسل كما بدا له - صاحب المناهل - في ذكر الدليل تلو الدليل، وأراد أن يدل على صحة رأيه ووجهته بقوله: إنه قد رأى هذه التجارب بعينه وسمعها بأذنه. فهذا الأمر محسوس ملموس.

أقول: هذا التذليل بعيد عن نهج هذا الدين، فإن مُجِّدا عليه الصلاة والسلام ما أقنع أهل زمنه إلا بما أرشده الله إليه، أما أن يلتمس لكل حادثة غيبية دليلا حسيا، أو يدل على وقوعها أو

يقربها إلى الذهن بأدلة ماديّة محسوسة فهذا ما لم يكن، بل حصل العكس فإن أبا بكر الصديق حين حدّثه كفار قريش بقصة الإسراء والمعراج، وأرادوا أن يشككوه في هذه القضايا الغيبية لم يفلحوا في ذلك، وأخذوا منه الجواب الشافعي النابع من الإيمان الصادق، قال: إن قالها- أي مُجَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد صدق.

إن الاستدلال بالقضايا العلمية على الحقائق الغيبية هو نهج المدرسة العقلية في التفسير، التي

أرسي قواعدها الشيخ مُجَّد عبده، الذي فسر قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا

أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾¹

قال ليقترب هذه المعاني القرآنية للعقول الأوروبية: إن الطير الأبايل: هي الذباب،

وفسر) حجارة من سجيل (بميكروب الجدرى، كما فسر) الجن (بالميكروب الضار، والملائكة

بالميكروب النافع. وهذا تفسير غريب وتأويل بعيد، وقد ردّ عليه صاحب الظلال بكلام

مفيد يحسن الرجوع إليه.

وقد أعجبني الردّ على ادعاء إثبات الوحي بالتنويم إذ يقول قائل:

وهل نقف أمام من صعب عليه تصور الوحي، ولم يجد بدًّا من التصديق بالإيحاء التي يتم

أمامه عن طريق التنويم المغناطيسي الذي ربما كان هو موضوعه في مرة من المرات

¹ سورة الفيل، الآيات 3،4

وهل نحن بحاجة إلى ضرب الأمثلة والشواهد من عالم البشر المادي والمحسوس على شرح حقيقة الوحي، وبيان إمكانية وقوعه. إن الأمر هنا ليَجَلَّ عن هذا وذاك، والقرآن الذي نتلوه الآن شاهد صدق على مصدره، كما أن الأدلة على صدق هذه الظاهرة أكثر من أن تحصى¹

وقول القائل: وحاولنا ألا نقرب حقائق الغيب العليا بما يعرفه الناس عن التنويم المغناطيسي وتسجيل الأصوات على الأشرطة وإذاعتها أو نقلها عن طريق الهاتف واللاسلكي، وظننا أن لا جدوى من هذه الأشياء وأنها ليست هي طريق الإيمان^{2,3}.

4. حالات الوحي:

كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم على حالات متنوعة:

١ - فتارة يظهر للرسول في صورته الحقيقية الملكية، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾⁴ قال: رأى جبريل في صورته، له ستمائة جناح⁵»

¹ دراسات قرآنية، للدكتور عدنان زرزور، ص 59.

² مباحث في علوم القرآن ص 47، 48

³ ينظر: مُجَدِّد علي الحسن، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1421 هـ - 2000 م، ص 61، 62

⁴ سورة النجم، الآية 18.

⁵ رواه أبو نعيم في الحلية (10/ 27) بسند صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه، والبغوي في شرح السنة (4/ 304) وفي

إسناده رجل مجهول

٢ - وتارة يظهر في صورة إنسان يراه الصحابة ويستمعون إليه، كما في حديث عمر رضي

الله عنه الذي رواه البخاري: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ طلع

علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الحديث: «إنه جبريل جاء يعلمكم دينكم»¹

. وكان كثيرا ما يأتي في صورة) دحية الكلبي (الصحابي الجليل، وكان دحية من أجمل

الصحابة.

٣ - وتارة يهبط الوحي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر

التغيّر والانفعال على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيغطّ غطيظ² «النائم، ويثقل ثقلا شديدا

حتى قد يتصبّب جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد.

وقد يكون وقع الوحي على رسول الله كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وذلك أشدّ

أنواعه، وربما سمع الحاضرون صوتا عند وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه دويّ النحل،

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كان إذا نزل الوحي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يسمع عند وجهه دويّ كدويّ النحل³»

¹ رواه مسلم في أول كتاب الإيمان (8) وانظر شرحه في كتابنا «الوافي في شرح الأربعين النووية

² هو تردد نفس النائم حتى يسمعه من حوله.

³ رواه أحمد (24/1).

لكنهم لا يفهمون كلاما، أما هو فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه، ويعلم علما ضروريا أن هذا هو وحي الله دون لبس ولا خفاء، فإذا انجلى عنه الوحي وجد ما أوحى إليه حاضرا في ذاكرته، منقوشا في حافظته كأنما كتب في قلبه الشريف كتابة.

روى البخاري في صحيحه: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول:» قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا¹.

5. شبه الجاحدين والمنكرين للوحي

وقد حرص هؤلاء الجاحدون قديما وحديثا أن يفسروا حادثة الوحي بنظريات غامضة ومنحرفة، وتهدف في النهاية إلى إنكار رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فنجدهم يفسرون ظاهرة الوحي بالإلهام النفسي تارة، وبالإشراق الروحي تارة أخرى، ويعميهم الحقد فيتجرؤون على القول بأنه ضرب من الصرع والجنون كان ينتابه، وواضح أنها شبه واهية لا تثبت أمام

¹ الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، الناشر: دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ - 1998 م، ص 20

الوقائع النيرة والمنطق السليم والحكم العادل النزيه، والذي يهمننا أن نرد عليه هنا ونكشف

زيفه هو ما يسميه الملحدون في هذا العصر ب الوحي النفسي:

١ - إن حالة الإلهام النفسي، أو الإشراق الروحي، لا تستدعي الخوف والرعب وتغيّر اللون،

لأن الصفاء النفسي والتدرّج في التفكير والتأمل لا ينسجم مع حالة الخوف والاضطراب، بل

هما حالتان متناقضتان تماما، وخوف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثابت

في حديث بدء الوحي وفيه: « فرجع بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده، فدخل

على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال

لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي.

وقد ذكرنا في حالات الوحي ما كان يعتري رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تغير

واضطراب وتصبّب العرق من جبينه وهو على مرأى من أهله وأصحابه.

٢ - واقتضت حكمة الله تعالى أن يحتجب الملك عن رسول الله ¹ مدة بعد رؤيته له في

غار حراء، فاستبدّ به القلق، وخاف أن يكون الله تعالى قد قلاه لسوء صدر منه، وراحت

نفسه تحدّثه كلما وصل إلى ذروة جبل أن يلقي بنفسه منها...

¹ ينظر فترة الوحي في كتاب التعبير من صحيح البخاري (باب أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي) رقم (6581) وفتح الباري (12/359-361)

إلى أن رأى جبريل وقد ملاً شكله ما بين السماء والأرض يناديه، ويقول: يا مُحَمَّد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل¹»

وهذا الانقطاع الذي حصل في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجعل القول بأن الوحي إلهام نفسيّ كلاماً باطلاً وضرباً من الجنون.

٣ - إن جانباً عظيماً من القرآن الكريم احتوى على أنباء من سبق من الأمم والجماعات، وقصص الأنبياء، وذكر الأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة.

وهذه الأخبار لا يمكن أن يقول عاقل بأنها إلهام نفسي أو إشراق روحي، لأنها لا تعتمد إلا على التلقي والتعليم؛ قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾²، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَفْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾³

٤ - واحتوى القرآن كذلك على حقائق علمية، ونظريات طبيعية وفلكية تثبت الأيام بعد تقدّم العلم صحتها وأسبقيتها، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁴ وتضمّن القرآن في بيان العقائد أموراً تفصيلية عن بدء الخلق ونهايته

¹ رواه ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في فتح الباري (12 / 360)

² سورة يوسف، الآية 3

³ سورة آل عمران، الآية 44.

⁴ سورة فصلت، الآية 52

وعن الحياة الآخرة وما فيها من الموقف والحساب والجنة والنار، ويضاف إلى ذلك كله ما تضمنه القرآن من أحكام قاطعة عن أخبار المستقبل، وما يجري من أحداث تقع وفق سنن الله الاجتماعية في القوة والضعف والعزة والذلة. والذي ينطق بهذا رجل أمي لم يعرف الكتابة ولم يقرأ في كتاب، ومع ذلك يتحدّى بما جاء به جميع الناس في كل أرض وفي كل زمان. إن التفسير المنصف لما جاء به هو الإيمان بهذا الاتصال الذي حدث بين الأرض والسماء عن طريق الوحي لتبليغ هداية الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَىٰ﴾¹

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم: (هذا الرأي هو الذي يروّجه الملحدون اليوم باسم) الوحي النفسي (زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاءونا برأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، لا يختلف عنه في جملته ولا في تفصيله، فقد صوّروا النبي عليه الصلاة والسلام رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذا شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيّل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته فهو إذا الجنون أو أضغاث الأحلام، على أنهم لم يطبقوا الثبات طويلاً على هذه التعليقات، فقد اضطروا أن يهجروا كلمة) الوحي النفسي (حينما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلية، فقالوا: لعله تلقّفها من

¹ سورة النجم الآيات 3، 4.

أفواه العلماء في أسفاره للتجارة، فهو إذا قد علّمه بشر. فأيّ جديد ترى في هذا كله؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاؤون به قول جهّال قريش؟ وهكذا كان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة متّسخة، بل ممسوخة منه في أقدم أثوابه، وكان غذاء هذه القلوب المتحضّرة في العصر الحديث مستمدّاً من فئات الموائد التي تركتها تلك القلوب المتحجّرة في عصور الجاهلية الأولى.¹ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

¹ الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، الناشر: دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية، دمشق الطبعة: الثانية، 1418 هـ - 1998 م، ص22

المحاضرة الثانية حول النبوة

1. تعريف النبوة :

تعريف النبوة لغةً واصطلاحاً

النبوة مشتقة من النبأ، وهو الإخبار؛ وأيضاً هي بمعنى العلو والارتفاع.¹

وكلُّ رسولٍ نبيٍّ؛ والرسول لفظٌ مشتقةٌ من الإرسال، وتعني التوجيه والبعث.²

أما اصطلاحاً : فقد اختلف أهل العلم فيها، وافترقوا على مذاهب:

أولها : أنه لا فرق بين النبي والرسول، بل هو من قبيل الترادف، فيطلق النبي على الشخص الذي

اصطفاه الله لإنذار قومه، والرسول تطلق عليه من جهلة تكليفه بمهمة التبليغ والإرسال. وهو مذهب

ضعيف كما نصّ عليه القاضي عياض وبينه رحمه الله.³

ثانيهما : أن النبي لم يؤمر بالتبليغ، في حين أن الرسول هو المأمور بتبليغ شرعه، وهو قولٌ مخالفٌ للأدلة

أيضاً، فكلاهما مبلغٌ عن الله تعالى.

ثالثهما : وهو مذهب جمهور أهل العلم، والذي نرجّحه، أن الرسول هو المبعوث إلى قومٍ برسالة جديدة

¹ لسان العرب لابن منظور، الجزء 7، مادة نبأ

² كتاب الشفا للقاضي عياض، المجلد الثاني، ص 726

³ نفس المصدر ، ص 726

وشرع جديد، في حين أن النبيّ هو مدكّر لقومه برسالةٍ سابقةٍ، فيكون كلّ رسولٍ نبياً، وليس كلُّ نبيّ رسولا.¹

2. إمكانية النبوة²

إمكانية النبوة هي قضية خلافية بين المسلمين وغيرهم. يرى المسلمون أن النبوة أمر ممكن وواقع، وأن الله تعالى قد اصطفى بعض البشر ليكونوا أنبياء ورسلاً، وأنهم يتلقون الوحي من الله لتبليغه للناس. بينما يرى البعض أن النبوة غير ممكنة، وأن العقل البشري قادر على الوصول إلى الحقائق دون الحاجة إلى وحي أو رسل. فإثبات النبوة يكون بأصل العقل، وقد تثبت النبوة بغير العقل، أي: بغير دليل معجزة، وإلا فليس هناك شك أن المجنون الذي نزع عقله من أوله إلى آخره لا يستوعب هذه المسائل على التفصيل، ولذلك فإن هرقل - كما جاء عن ابن عباس في الصحيحين وغيرهما - لما سأل أبا سفيان عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم، لم يسأله عن حدوث المعجزات الخارقة للعادة، كخروج الماء من بين أصابعه، ونحو ذلك، إنما سأله عن نسبه، وعن يتبعه، وعن أبيه، وهل كان ملكاً؟ إلخ، وهذه ليست معجزات، إنما هي صفات، ولذلك قال هرقل: (إن يكن ما تقول به حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم ...) إلخ.

¹ لوامع الأنوار البهية للسفاريني، المجلد الأول، ص: 49

² شرح القواعد السبع من التدمرية، يوسف بن محمد علي الغفيص، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج21، ص4.

إذاً: النبوة تثبت بالمعجزة، وتثبت بغيرها، والمقصود بالمعجزة هنا: الآية الخارقة للعادة.

يقولون: إن دليل ثبوت السمع هو النبوة، والنبوة دليلها المعجزة.

وهذا غلط من وجهين:

الوجه الأول: أن النبوة تثبت بغير المعجزة.

الوجه الثاني: أنه لو سلم جدلاً أن الدليل العقلي هو الذي صدق المعجزة، ودليل

المعجزة بصدقه صدقت النبوة، فإن هذا دليل معين من أدلة العقل، ومعلوم أن الدليل

المعين لا يلزم أن يكون حكمه مطرداً في سائر الأدلة، وإلا لزم من ذلك التصديق

بكل ما يقال أنه عقلي، وهذا معلوم الامتناع بين العقلاء، فإن عقول بني آدم بينها

قدر من الاختلاف والتضاد والتناقض في أحكامها العقلية.

إذاً: عندما يقولون: لو قدمنا السمع للزم من ذلك الطعن في أصل ثبوت السمع،

يقال: هذا ليس بلازم؛ لأنه يمكن أن نقدم السمع على العقلي الذي عارضه.

أما الدليل العقلي الذي قالوا: به تثبت النبوة، فهل عارض السمع أو أثبتته؟ فإن قالوا:

إن به ثبت السمع، فمعناه: أنه عارضه أو صدقه، فإذا كان صدقه فهذا لا جدال

فيه، ولا يرد في مسألة تعارض العقل والنقل، إنما الكلام هو في العقلي المعارض، وهذا

العقلي ليس هو الذي أثبت السمع، مع أن هذا الكلام - كما سبق - ليس محكماً

من أصله.

لأن المعارض للسمعي إما أن يكون سمعياً، وإما أن يكون عقلياً، وإما أن يكون لا سمعياً ولا عقلياً، فأما إن كان سمعياً فهذا ممتنع؛ لأنه يلزم فيه التعارض بين السمعيين، وهذا ممتنع، وأما إن كان عقلياً، فإنه يعود القول فيه إلى ما سبقت الإشارة إليه من الأوجه، وأما إن فرض أنه لا سمعي ولا عقلي، فيقال: ليس في الأمر ما يكون كذلك؛ بل الحكم إما أن يكون سمعياً، وإما أن يكون عقلياً.¹

3. الحاجة إلى الوحي والنبوة:

لا شك أن النبوة ضرورة من ضرورات حياة البشر، لا غنى عنها بحال من الأحوال، فحاجة البشرية إلى النبوة، كحاجة الحياة إلى الروح، وأنهم - أي الرسل - من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص. قال ابن القيم - رحمه الله - مبيناً حاجة العباد إلى الأنبياء والرسل ... " :ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال

¹ شرح القواعد السبع من التدمرية، المؤلف: يوسف بن محمد علي الغفيص، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج21، ص4. <http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 21 درسا

رضى الله البتة إلا على أيديهم ... فأبي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى

الرسول فوقها بكثير¹

وقد ذهب قوم إلى أن البشر يستغنون عن الدين في انتظام شملهم وقوام مدنيتهم وأن الإنسان

يمكن أن يصل بعقله إلى ما فيه سعادته من غير وحي إلهي ولا إرشاد سماوي اكتفاء بالعقل

والمشاعر والوجدان والإلهام التي وهبها له مدبر الكون².

ويقولون أيضاً: ها هو ذا الدين الذي يقال أنه جامع الكلمة ورسول المحبة كان سبباً في

الشقاق والخلاف³.

وقد بين الشيخ رشيد حاجة البشر إلى الرسالة وأجاب عن شبهات المنكرين لهذه

الحاجة. قال: "وجه حاجة البشر إلى هداية الأنبياء - عليهم السلام - في الجملة: أن موضوع

رسالتهم المقصود بالذات، أو القصد الأول ثلاثة أمور، لا تستقل معارفهم المكتسبة بحواسهم

وعقولهم بها، ولا يدعون فيها إلا لأمر ربهم وخالقهم:

أحدها: الإيمان بالغيب ورأسه توحيد الله وصفاته وآياته الدالة على كماله وتنزهه عن النقص،

وما يجب من عبادته وشكره وذكره الذي هو أعلى ما تتركى به الأنفس، وتتطهر من أدران

¹ زاد المعاد ج1، ص 69

² : مجلة المنار ج1، ص 243

³ : مجلة المنار ج1، ص 289

مساويها، وتصل إلى الكمال المستعدة له بفطرتها، ويليه الإيمان بملائكته وما يناط بهم من

الوحي والنظام في الخلق والأمر ويجب الوقوف في ذلك عند ما ورد به النص....

ثانيها: ما يجب اعتقاده من البعث بعد الموت والحساب والجزاء على الإيمان والأعمال، وهو

أكبر البواعث . بعد الإيمان بالله ومعرفته . على اتباع ما شرعه من اتباع الحق، وإقامة العدل،

وأعمال البر والخير والصدود عن أضدادها.

ثالثها: وضع حدود وأصول للأعمال التشريعية المشار إليها لا مجال للآراء والأهواء فيها،

لتكون جامعة للكلمة، مانعة من التفرقة، متبعة في السر والعلانية ... " ¹

ويبين رشيد رضا . مُفصلاً ومؤكداً لهذا المعنى . إن حاجة البشر إلى الوحي تظهر في

جهتين : الدنيا والآخرة؛

فأما في الدنيا فمن حيث أن الإنسان يعيش في جماعة . وقد أودع في كل فرد من أفرادها ما

يقتضي التباين والتنازع، ولا يتم لنوع الإنسان ارتقاؤه ولا بقاؤه مع هذه الغرائز المتعارضة،

فمن ثم كان محتاجاً إلى إرشاد يوفق بين آثار هذه الغرائز وعوارضها، بما يذهب بتعارضها،

ويعرف كل فرد من الأفراد حده، ويجعل له من نفسه وازعاً يوقفه عنده، ولم تكمل له هذه

الحاجة إلا بالدين ²

¹ الوحي الحمدي (ص: 48 . 50)

² مجلة المنار (4، ص 10)

وأما سعادة الآخرة فلا طريق إليها إلا الرسل . عليهم السلام . فهم أولاً : يخبرون بها ويؤكدون ما فطر عليه الإنسان من الإحساس بوقوعها، ثم يبينون السبيل للفوز بنعيمها وسعادتها ١ .

وأما كون الدين لم يرفع الشقاق، بل ربما كان سبباً فيه، وهي من الشبه التي يلقيها منكرو الوحي والرسالة، فيجيب عنها الشيخ بقوله ... " : نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الأنبياء، وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في أيدي من لا يفهمه أو يفهمه ويغلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه، أو امتزج بقلبه حب الدين ولكن ضاقت سعة عقولهم عن تصريفه تصريف الأنبياء ... وإلا فقل لنا : أي نبي لم يأت أمته بالخير الجم، والفيض الأعم، ولم يكن دينه وافياً بجميع ما تمس إليه حاجتها في أفرادها وجملتها ... وكذلك الرسل . عليهم السلام . أعلام هداية نصبها الله على طريق النجاة، فمن الناس من اهتدى بها فانتهى إلى غايات السعادة، ومنهم من غلط في فهمها وانحرف عن هديها فانكب في مهاوي الشقاء، فالدين هاد والنقص يعرض لمن دُعوا إلى الاهتداء به .

إن الرسل دعوا إلى كل خير، وتفاوتت الأمم في إجابة دعواتهم، دعت الرسل للتوحيد فأجابهم بعض وأعرض بعض وضل بعدهم آخرون، ودعوا إلى التآلف فعاش فيه الناس حقبة من الدهر ثم نكصوا على أعقابهم، ولو كان الناس على عهد الأنبياء لما وردت مثل هذه

الشبهة على الحاجة إلى الوحي والرسالة¹¹

¹ الوحي المحمدي (ص: 88، ينظر : مُجَّد عبده . ، رسالة التوحيد (ص: 197 . 108) ط . دار إحياء العلوم

4. حقيقة النبوة.

النبوة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه وسفارة بين الملك وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم - تبارك وتعالى - لخلقه ليُخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

فهي نعمة مهداة من الله - تبارك وتعالى - إلى عبيده، وفضل إلهي يتفضل بها عليهم. هذا في حق المرسل إليهم.

أما في حق المرسل نفسه، فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاء من الربّ له من بين سائر الناس، وهبة ربانية يختصّه الله بها من بين الخلق كلّهم.

والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها كما يظنّ من في عقله بلادة. وإنما هي محض فضل إلهي، ومجرد اصطفاء رباني، وأمر اختياري؛ فهو جلّ وعلا كما أخبر عن نفسه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ﴾².

¹ منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تamer محمد محمود متولي الناشر: دار ماجد عسيري الطبعة: الأولى، 1425

هـ - 2004 م عدد الصفحات: 972

² سورة البقرة ، الآية 105

فالنبوّة إذًا لا تأتي باختيار النبيّ، ولا تنال بطلبه. ولذلك لما قال المشركون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ، أجابهم الربّ تبارك وتعالى : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾¹.

فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك، ويتفضّل به على من يشاء من الناس، ويصطفي من يشاء من عباده، ويختار من يشاء من خلقه. ما كانت الخيرة لأحدٍ غيره، وما كان الاجتباء لأحدٍ سواه.

والإيمان بالنبوّة هو الطريق الموصل إلى معرفة الله ومحبّته، والمسلك المفضي إلى رضوان الله وجنته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى " :والإيمان بالنبوّة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يُحقّق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يُميّز بين الخطأ والصواب"².

¹ سورة الزخرف، الآيات 30-31

² النبوات ص 611-612.

وحاجة العباد إلى الإقرار بالنبوة أشدّ من حاجتهم إلى الهواء الذي يتنسمونه، وإلى الطعام الذي يأكلونه، وإلى الشراب الذي يشربونه؛ إذ من فقد أحد هؤلاء خسر الدنيا، أما من عدم الإقرار بالنبوة فخسارته أشدّ وأنكى، إذ خسر الدنيا والآخرة - عياداً بالله تعالى.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله: ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبيّن لكلّ أحد؛ كالحوادث المشهودة؛ فإنّ الخلق كلّهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار برسله" ¹.

ولا شك أنّ معرفة الله، والإيمان به، وعبادته، ومعرفة رسوله، وطاعته، يحتاجها كلّ مخلوق مكلف. من حكمة الله تعالى أنّه كلّما كان الناس إلى معرفة شيء أحوج، فإنّه - جلّ وعلا - يجعله سهلاً ميسراً غير ذي عوج. ²

ولحاجة الناس إلى معرفة النبوة، والإقرار بالرسول، فقد وضّحها المولى - جلّ وعلا - في كتابه توضيحاً أعظم من أن يُشرح في هذا المقام، إذ الشرح يطول.

يقول شيخ الإسلام: "فتقرير النبوات من القرآن الكريم أعظم من أن يُشرح في هذا المقام، إذ ذلك هو عماد الدين، وأصل الدعوة النبوية، وينبوع كلّ خير، وجماع كلّ هدى". ³

¹ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج 5، ص 435

² درء تعارض العقل والنقل ج9، ص66.

³ شرح الأصفهانية ج2، ص606.

ولشيخ الإسلام - رحمه الله - كلام رائع نفيس يُجمل فيه ما قُدّم بيانه، يقول فيه " فإنّ الله - سبحانه - جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يُصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه.

فالأصل الأول: يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصّها على عباده، والأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع، والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يُحبّه الله وما يكرهه.

والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والثواب والعقاب.

وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل، فإنّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يُدرك وجه الضرورة إليها، من حيث الجملة، كالمريض الذي يُدرك وجه الحاجة إلى الطبّ ومن يُداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه.

وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فإنّ آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا تُرجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً. فلا فلاح إلا باتباع الرسول." ويقول أيضاً - رحمه الله: "والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بدّ أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم، وأشرف الأعمال. فكيف يشتهب الصادق فيها بالكاذب".¹

¹ النبوات، ابن تيمية، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م، عدد الأجزاء: 2، ص22

المحاضرة الثالثة : حول دلائل النبوة وشروطها

دلائل نبوته ﷺ: أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل، والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب

الإيمان به وصدق رسالته وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء¹ ومنها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي، وكذلك هي متنوعة فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به ومنها ما كان وقت ولادته كقصة الفيل والعجائب التي حدثت عام مولده الدالة على نبوته، ومنها ما كان عند مبعثه كالقرآن الكريم وانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.

ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته ﷺ كالقرآن الكريم، وما أخبر به من المغيبات كعلامات الساعة، وما يحدث بعده. ولقد ألف عدد من العلماء مؤلفات في هذا الشأن جمعوا فيها تلك الدلائل والمعجزات².

وإن من أعظم دعائم الإيمان معرفة المسلم لهذه الدلائل وأخذ العظة والعبرة منها وذلك بتدبر ما فيها من حكم وآيات دلت على صدق رسالة نبينا ﷺ. والمقام هنا لا يستوعب إيراد هذه الدلائل والمعجزات، ولكني سأشير إلى بعض هذه الدلائل إشارات سريعة على سبيل المثال:

أ - القرآن الكريم:

¹ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج1، ص 140).

² من تلك المؤلفات: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة لقوام السنة الأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي، والخصائص الكبرى للسيوطي

هو أعظم الآيات والبراهين والدلائل والمعجزات التي أعطيها النبي ﷺ، وليس من آية أبدع ولا أروع منه. فهو المعجزة الخالدة التي أعطاها الله لرسوله ﷺ لتكون خالدة كخلود رسالته، ومشهودة لكل من أتى بعد زمانه ليعم الانتفاع بها ولتقوم بها الحجة على أهل كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد تعهد الله بحفظه وبقائه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾¹ فكان في هذا الحفظ دوامه وبقاؤه إلى قيام الساعة. ولقد ميز الله نبيه بهذه المعجزة عن سائر إخوانه من الأنبياء كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحى أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة)² .

وفي تخصيص النبي ﷺ للقرآن بالذكر هنا دون المعجزات الأخرى التي أعطيها- والتي تزيد على الألف- إشارة إلى عظم هذه المعجزة ومكانتها حتى أنه أصبح غيرها بالنسبة إليها كلا شيء لشيء. ولقد تضمنت هذه المعجزة وجوها متعددة من الإعجاز، فالقرآن الكريم معجز بلغته وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار وقصص، ومغيبات، وعلوم، فهو معجز من جميع الوجوه، ولقد تحدى الله قوم النبي ﷺ على أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم فهم يعرفون حروفه ومعانيه، إضافة إلى أنه نزل في أوان وزمان بلغت فيه قريش ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان، فلقد كان فيهم أولوا الأحلام والنهى والأفهام والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد.

¹ سورة الحجر الآية 9

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم" واللفظ له، ينظر فتح الباري (ج3ص247) ح 7274. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته. ينظر (ج1، ص92، 93)

فالتحدي كان لهم بأمر يعرفون طريقه ولهم بجنسه عهد بل إنهم نبغوا فيه وبلغوا فيه ذروته.

ولذلك فقد توهم كفار قريش في بداية أمرهم أن باستطاعتهم الإتيان بمثله وقدروا أن في وسعهم معارضته

فقالوا : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾¹.

فجاءهم التحدي من الله على ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى:

التحدي بالإتيان بمثل القرآن وذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾.

المرحلة الثانية:

تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله حيث قال تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ

مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾².

المرحلة الثالثة:

حيث تحداهم تبارك وتعالى بالإتيان بسورة واحدة فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ

عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾³ ،

¹ من سورة الانفال الآية 31

² من سورة الطور الآيتان (33-34)

³ سورة هود الآية 13

فَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ شِدَّةِ الْجَهْدِ وَقُوَّةِ الْأَسْبَابِ فَقَدَ كَانُوا حَرِيصِينَ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَإِبْطَالِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدَ عَجَزُوا عَنِ ذَلِكَ.

ولقد أخبر الله بعجزهم عند تحديه إياهم بالإتيان بسورة من مثله فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ

تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾¹.

ولما عجزوا عن الإتيان بما تحداهم به قطع الله طمعهم على أن يأتوا بمثله فقال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهِيرًا ﴾².

وبعد مرحلة قطع الطمع أنزل الله فواتح السور ك ﴿الم، الر، المر﴾ وغيرها تقريبا وتوبيخا للكفار، مخبرا لهم أن ما تحداهم به مكون من حروف هي حروف العربية التي يتحدثون بها والتي بلغوا ذروتها فهم أفصح العرب، والقرآن نزل بلغة العرب، ولقد جرت سنة الله بأن يعطي كل رسول من المعجزات ما يناسب ما اشتهر به قومه، فلقد أعطى موسى العصا لاشتهار من أرسل إليهم بالسحر وما يتعلق به، وأعطى عيسى معجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى لاشتهار قومه بالطب وهكذا، فأعطى نبينا محمدًا ﷺ القرآن لما اشتهرت به قريش من الفصاحة والبيان.

فهذا ما كان من أمر التحدي الذي تحدى الله به أهل مكة وغيرهم من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وسأعرض لذكر بعض جوانب هذا الإعجاز القرآني الذي عجز الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن من جهتها وهي ما يلي:

¹ سورة البقرة الآية 24

² سورة الاسراء الآية 8

أولاً: تحداهم بفصاحة القرآن وعلو أسلوبه، وأحكامه، ودقة تعبيره، ولذا تكلف بعض سفهاء الأحلام منهم أن يأتوا بسور خيل لهم أنها على نمطه وشاكلته، فأضحكوا على أنفسهم العقلاء، وأما ذووا العقل والرأي منهم فأسلموا أنفسهم إلى العجز وأيقنوا من قرارة نفوسهم أنه الحق وأنه من عند الله لا من كلام البشر ولكن أكثرهم يجهلون فأبوا إلا الكفر أنفة واستكبارا.

ثانياً: تحداهم بتشريعه الكامل الموافق لمقتضى العقل والفطرة، الهادي جميع البشر إلى سواء السبيل من جوانب الحياة كلها عقيدة وعبادة واقتصادا وسياسة وأدبا وأخلاقا مع بقاءه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه في جميع جوانب الحياة إلى يوم القيامة.

ثالثاً: تحداهم بما تضمنه القرآن من الأخبار الغيبية التفصيلية المسهبة، وبوقوف الرسول صلى الله عليه وسلم من إخوانه المرسلين السابقين موت المصدق لهم المبين لتحريف أقوامهم شرائعهم، المعلن لخزايهم وفضائحهم في خروجهم على أنبيائهم بيان الواثق بنفسه المؤمن بما أوحى إليه من ربه، وهو أمي عاش في أمة أمية، ومن أمته أهل الكتاب الذين فضحهم بسوء صنيعهم مع رسلهم وفي شرائعهم ومع ذلك لاذوا بالصمت ولم يردوا عليه ما اتهمهم به تبرئة لأنفسهم ودفعاً للنقيصة والعار عنها، فكان ذلك إيذاناً بأنه رسول الله الصادق الأمين وأن ما جاء به إنما هو وحي من رب العالمين¹.

ولقد تضمن القرآن الكريم جوانب أخرى من الإعجاز فنحن في زمان انتشر فيه سلطان العلم المادي وتباهى الإنسان بمعرفته لكثير من الأمور التي خفيت عن من قبله من الأجيال، ولكن كثيرا من هذه الأمور التي يدعي الإنسان اكتشافها ومعرفتها، نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها وبينها فعلى سبيل المثال

¹ ينظر مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع (ص 27-28) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة مُجَّد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء.

تكوين الإنسان في بطن أمه تحدثت عنه آيات كثيرة من القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان بينما لم يتعرف علماء الطب على ذلك إلا في زمن متأخر وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الأمور الأخرى كتكوين الأرض وعلوم البحار وعلوم الحيوان وشتى أنواع العلوم الأخرى، وقد اهتم عدد من العلماء المسلمين بهذا الشأن فأنشؤوا ما يسمى " بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن " لبيان سبق القرآن في توضيح كثير من أمور العلم التي يدعي كثير من العلماء الماديين أنها لم تعرف إلا في هذا الزمان. وهذا كله شاهد بأن كتاب الله العزيز يبقى المعجزة الخالدة التي لا تنتهي¹

شروط النبوة

يختار الله - سبحانه - من يشاء من البشر لنيل شرف النبوة العظيم من حمل رسالته ودعوته وتبليغها للناس كافة، فذلك اصطفاؤه منه - عز وجل -، قال - تعالى -: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

الله - سبحانه - يختار لتلك المهمة العظيمة أصفى خلقه وأنقاهم، فهو الأعلم بحالهم والمحيط بهم فلم يختارهم عبثاً، فهم أهلاً لذلك، ولا بد من تحقق عدة أمور وشروط في النبي والرسول هي:

¹ حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، ج1، ص78

1. البشرية: جاءت حكمة العليم الخبير أن يكون الرسل الذين يرسلهم إلى البشر من

البشر أنفسهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾¹ الذين يستعظمون ويستبعدون اختيار الله

بعض البشر لتحمل الرسالة لا يقدرّون الإنسان قدره، فالإنسان مؤهل لتحمل الأمانة

العظمى، أمانة الله التي أشفقت السماوات والأرض والجبال من حملها، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا

الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾².

والذين استعظموا اختيار الله البشر رسلاً نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان، نظروا إليه على

أنه جسد يأكل ويشرب وينام، ويمشي في الأرض لتلبية حاجاته ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾³ ، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان، وهو تلك الروح التي

هي نفخة من روح الله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁴ . وبهذه

الروح تميز الإنسان، وصار إنساناً، واستخلف في الأرض، وقد أودعه الله الاستعداد للاتصال

به عن طريق تلك النفخة العلوية التي ميزته، فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس،

صاحب استعداد للتلقي، فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق كلما غام عليهم

¹ سورة الكهف الآية 110

² سورة الأحزاب، الآية 72

³ سورة الفرقان، الآية 7

⁴ سورة الحجر: الآية 29

الطريق، وما يقدم به إليهم العون كلما كانوا بحاجة إلى العون¹ ﴿قالت لهم رسلهم إن نَحْنُ إِلَّا بشرٌ مثلكم ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده﴾²

2. الذكورة

أي أن يكون الرسول ذكراً؛ إذ إن مواجهة المشركين وتحمل أذاهم ومعايشة ظلمهم وقسوتهم ورفضهم وعنادهم بحاجة إلى نوع من الشدة التي لا تتوفر في النساء اللاتي تغلب عليهن العاطفة. ومن الكمال الذي حباهم به أنه اختار جميع الرسل الذين أرسلهم من الرجال، ولم يعث الله رسولاً من النساء يدلُّ على ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نُوحِي إليهم﴾³

الحكمة من كون الرسل رجالاً: كان الرسل من الرجال دون النساء لحكم يقتضيها المقام فمن ذلك:

١ - أن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، ومحاطبة الرجال والنساء، ومقابلة الناس في السر والعلانية، والتنقل في فجاج الأرض، ومواجهة المكذبين ومحاججتهم ومخاصمتهم، وإعداد الجيوش وقيادتها، والاصطلاء بناورها، وكل هذا يناسب الرجال دون النساء.

1 عمر سليمان الأشقر، كتاب الرسل والرسالات، ص 70.

2 سورة إبراهيم، الآية 11

3 سورة الأنبياء، الآية 7

٢ - الرسالة تقتضي قوامة الرسول على من يتابعه، فهو في أتباعه الأمر الناهي، وهو فيهم الحاكم والقاضي، ولو كانت الموكلة بذلك امرأة لم يتم ذلك لها على الوجه الأكمل، ولا ستتكف أقوام من الاتباع والطاعة.

٣ - الذكورة أكمل كما بينا آنفاً، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء ﴿الرجال قوَّامون على النساء﴾¹ ، وأخبر الرسول - ﷺ - أن النساء ناقصات عقل ودين.

٤ - المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس، وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها².

3. الصدق:

فتبليغ الرسالة عن الله - سبحانه - بحاجة إلى صادقٍ ثابتٍ على موقفه لا يعرف الكذب إليه طريقاً، فلو كانوا الأنبياء الذين اصطفاهم الله يشوبهم الكذب؛ لأصبحت الدعوة ضعيفةً غير مصدقةٍ بين الناس.

النبوة رسالة من الله تعالى على يد رجل من الناس ليبلغ عن الله تعالى ما أرسل به فإذا كان كذلك فإن أول ما يجب أن يتصف به النبي هو الصدق سواء قبل البعثة أو بعدها إذ

¹ سورة النساء الآية 34

² عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، ص 86.

يستحيل أن يبعث الله تعالى كذاباً فيستحيل على الرسول أن يكذب. . فتأييد الله تعالى له بالآيات البينات دليل على صدقه كما أن اتباع الناس له وظهور أمره كل ذلك يدل على صدقه قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ وقال في إدريس: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ وقال في وصف إسحاق ويعقوب ابني إبراهيم عليهم السلام: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ وقال في إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وقد كان العرب في جاهليتهم قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يلقبونه بالصادق الأمين فما كانوا يؤثرون عليه كذبا قط.¹

4. اخلق الحسن

الأنبياء والرسل هم قدوة الناس لذلك يجب أن تكون سرائرهم وظواهرهم على أحسن الأخلاق وأفضلها؛ وهم معصومون محفوظون من الله - سبحانه - من الزلل، ومن الوقوع في كل ما يشوب تلك الأخلاق ورفعتها.

5. التبليغ: الأنبياء والرسل مكلفون بتبليغ رسالة الله - عز وجل - دون كتمانٍ أو بخلٍ أو

نقصٍ حتى وإن كانت بعض الأوامر مخالفةً لأعرافهم وتقاليدهم.

¹ كتاب الحاجة إلى الرسل - الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات - المكتبة

6. الذكاء:

تحلّى الأنبياء -عليهم السلام- بالذكاء والحِكمة وسرعة التصرّف وتنوّع الأساليب في الدعوة، وعدم التردّد والثبات على الموقف وطرح الأمثلة والشواهد وتبيين الحقّ وردّ الباطل بكافة السبل والوسائل.

7. عصمة الأنبياء والرسول

كَانَ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ أَنْ مَيَّزَ مَنْ يَحْمِلُ الرِّسَالَةَ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ بِصِفَةٍ لَا يَمْلِكُونَهَا وَتَدَلُّ عَلَى صِدْقِ الرِّسَالَةِ وَأَنَّ مَصْدَرَهَا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-، وَلَتَكُونَ الدَّعْوَةُ مَقْبُولَةً بَيْنَ النَّاسِ يَسْتَجِيبُ لَهَا مَنْ يَسْمَعُ بِهَا وَيَسَارِعُ قَلْبُهُ إِلَيْهَا، وَتَلِكِ الصِّفَةُ الْجَلِيلَةُ هِيَ الْعِصْمَةُ.

العِصْمَةُ لَغَةً: الْمَنْعُ، فَيُقَالُ: عَصِمَ اللَّهُ عَبْدَهُ؛ أَي مَنَعَ عَنْهُ مَا يَهْلِكُهُ.

العِصْمَةُ شَرْعاً: حَفِظَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- لِأَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ وَالطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ لِارْتِكَابِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَكُلِّ مَا يُؤَدِّي لِذَلِكَ.

المحاضرة الرابعة حول المعجزة والكرامة

معنى المعجزة والكرامة في اللغة:

المُعْجَزَةُ - بفتح الجيم وكسرِها - مفعلة من العَجَزِ، وهو عدمُ القدرة¹.

والكرامةُ: اسمٌ يوضعُ للإكرام، كما وُضِعَت الطَّاعَةُ موضعَ الإطاعة، والغارةُ موضعَ الإغارة،

والمكْرَمُ: الرَّجُلُ الكَرِيمُ على كلِّ أحدٍ، ويقال: كَرَمَ الشَّيْءُ الكَرِيمُ كَرَمًا، وكَرَمَ فلانٌ علينا

كرامةً.²

المعجزة والكرامة في الاصطلاح:

المُعْجَزَةُ في الاصطلاح: ما خَرَقَ العادةَ من قولٍ أو فعلٍ إذا وافقَ دَعْوَى الرِّسَالَةِ وقارَنَها، على

جهةِ التَّحْدِيّ ابتداءً، بحيثُ لا يقدِرُ أحدٌ على مثلِها، ولا على ما يقارِنُها.³

وعلى ذلك؛ فإنَّ الأمورَ التي تُعْطَى للأنبياءِ وليس مقصودًا بها التَّحْدِيّ - كنبعِ الماءِ من بين

أصابعِ الرِّسُولِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وتكثيرِ الطَّعامِ، ونحوه - لا تُعدُّ من بابِ

المعجزاتِ.

¹ لسان العرب؛ لابن منظور، ج5 الطبعة الثالثة ص369 هـ 1414 - بيروت دار صادر.

² المصدر نفسه.

³ الرسل والرسالات؛ للدكتور عمر الأشقر، ص121 الطبعة الثالثة 1405 هـ، الكويت، مكتبة الفلاح

أيضا الخوارق التي أعطاها الله لغير الأنبياء، ويسمّيها المتأخّرون: كراماتٍ، وتُعطى للأولياء - لا تُعدُّ من باب المعجزات.

الكرامة في الاصطلاح: أمرٌ خارق للعادة، يُظهره الله - تعالى - على يدٍ وليٍّ من أوليائه؛ تكريمًا له، أو نُصرةً لدين الله¹.

كإبتاء السيدة مريم - عليها السلام - ثمر الشتاء في الصيف، وثمر الصيف في الشتاء، ونداء عمر - رضي الله عنه - لسارية أن ينحاز للجبل، وسماع سارية لندائه، مع أنّ بينهما آلاف الأميال.

الغرض من المعجزة، وفوائد الكرامة:

الغرض من المعجزة: إثباتُ صدقِ نبوة الأنبياء، وأهمّ رسلٍ من عند الله، ومن أمثلة ذلك: عدمُ إحراق النار إبراهيم - عليه السلام - وتحولُ عصا موسى - عليه السلام - إلى حية، وانشقاق القمر للرّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فوائد الكرامة:

1- بيانُ قدرة الله تعالى.

2- نُصرة الدين، أو تكريمُ الوليِّ.

¹ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، ج 4، جمع وترتيب فهد السليمان، الطبعة الأخيرة 1413 هـ دار الوطن

3- زيادة الإيمان، والتثبيت للولي الذي ظهرت على يديه.

4- أنها من البشرى للولي.

جامع المعجزة والكرامة:

آية الله الخارقة الدالة على النبوة الصادقة والولاية الصادقة، فهما من جنس واحد؛ ولكن لا يلزم من هذا أن تكون المعجزة والكرامة متساويتين في الحقيقة¹.

وأن الأمر الخارق في المعجزة والكرامة لا يملك العبد الصالح أن يأتي به إذا أراد، كما أن النبي لا يأتي بالمعجزة من عند نفسه، بل الله يأتي بها وحده.

الفرق بين المعجزة والكرامة:

أولاً: تختلف المعجزة عن الكرامة في أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة، بخلاف الكرامة، فإن صاحبها لا يدعي النبوة، ولو ادّعاها لسقطت عنه ولايته، ولم يُجر الله على يديه أي كرامة.

ثانياً: الولي إنما تحصل له الكرامة باتّباعه للنبي، والاستقامة على شرعه، فكل كرامة في حقه هي دليل على صدق النبي، ولولا اتّباعه للنبي ما حصلت له الكرامة.

¹ النبوات؛ لابن تيمية، ج 1، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، الطبعة الأولى 1420 2000م، ص 40.

ثالثًا: الكرامة تظلُّ أحيانًا محكومةً بعواملِ الزَّمانِ والمكانِ، فما كان في زمنٍ كرامةً لا يكونُ في زمنٍ آخرَ، فإيتاءُ مريمَ - عليها السلام - ثمرَ الشِّتاءِ والصيفِ لا يُعدُّ كرامةً اليومَ في كثيرٍ من البلادِ، وكذلك وصولُ صوتِ عمر - رضي الله عنه - لسارية لم يُعدَّ كرامةً في عصرنا بعد تقدُّمِ التُّكنولوجيا ووسائلِ الاتِّصالاتِ، بخلافِ المعجزةِ فإنَّها تظلُّ على مدى الأزمانِ.

رابعًا: إنَّ المعجزةَ قد تتكرَّرُ وتكونُ مصاحبةً لدعوى النبوة، وبيِّنُ النبيُّ من فعلها، وينسبُها إلى الله، أما الوليُّ فلا يستطيع تكرارَ هذه الكرامة.

خامسًا: الولايةُ تترتَّبُ على الإيمانِ الذي في القلبِ ولا يعلمُه إلا اللهُ - تعالى - فالكرامةُ تُمنَحُ ولا تُطلبُ، بخلافِ المعجزة.

سادسًا: الأولياءُ دون الأنبياء والمرسلين، كما أنَّهم لا يبلغون درجاتهم في الثَّوابِ والفضيلةِ، ولكن قد يشاركونهم في بعضها¹.

سابعًا: إنَّ كراماتِ الأولياءِ معتادةٌ من الصَّالحين، ومعجزاتُ الأنبياءِ فوق ذلك، فانشقاقُ القمرِ والقرآنُ وانقلابُ العصا حيةً، وخروجُ الناقةِ من آياتهم الكبرى؛ قال تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾²، فالآيةُ الكبرى مختصةٌ بهم، أمَّا الآياتُ الصُّغرى، فقد تكون للصالحين، مثل: تكثير الطَّعامِ، فقد وُجِدَ لغيرِ واحدٍ من الصالحين، لكن لم يكن كما وُجِدَ للنبيِّ أنَّه -

¹ النبوات؛ لابن تيمية ص 802

² سورة النازعات، الآية 20

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَطْعَمَ الْجَيْشَ مِنْ شَيْءٍ يَسِيرٍ، فَقَدْ يَوْجَدُ لغيرهم من جنس ما وُجِدَ لهم، لكن لا يماثلونهم في قدره.

الأحوال الشيطانية¹: أمرٌ خارق للعادة، يظهر على أيدي المنحرفين؛ كالسحرة، والكهنة، والمشعوذين، وسوف نذكر بعض الأمثلة عن الأحوال الشيطانية:

(1) **مسيلمة الكذاب:** كان معه من الشياطين مَنْ يُخْبِرُهُ بالمغيبات، ويُعِينُهُ على بعض

الأمور

(2) **الأسود العنسي:** الذي ادَّعى النبوة، كان له من الشياطين مَنْ يُخْبِرُهُ ببعض الأمور

المغيبية، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يُخْبِرُوهُ بما يقولون فيه، حتى أعانتهم عليه امرأته لَمَّا تَبَيَّنَ لها كُفْرُهُ فقتلوه؛

(3) **الحارث الدمشقي:** الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان، وادَّعى النبوة، وكانت

الشياطين يُخْرِجُون رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتُسَبِّح الرخامة إذا مسحها

بيده، وكان يرى الناس رجالاً وركبائاً على خيل في الهواء، ويقول: هي الملائكة وإنما كانوا

جِنَّاً، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه، طعنه الطاعن بالرمح، فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك:

إنك لم تُسَمِّ الله، فسَمَّى الله فطعنه فقتله.

¹ مجموع فتاوى ابن تيمية ج. 11، ص 284

(4) ومن أهل الأحوال الشيطانية مَنْ يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى، وغير ذلك ممَّا لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير بهم الجنيّ إلى مكة أو بيت المقدس أو غيرها، ومنهم من يحمّله عشية عرفة، ثم يُعيدُه من ليلته، فلا يحجُّ حجًّا شرعيًّا

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: وأهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذُكِرَ عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي.

المحاضرة الخامسة ختم النبوة

تمهيد:

من الخصائص التي خص الله بها رسوله ﷺ ورسالته جعله خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات، فانفرد ﷺ بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فأصبح ختم النبوة من خصائصه ﷺ.

ولذا فإن من حقه ﷺ على كل من يؤمن له، أن يعتقد بهذا الأمر، يؤمن به " لثبوتها بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، بل هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر المسلم بجهلها ولمزيد من البيان لهذه الخاصية والحق الواجب له ﷺ، سوف أتحدث في هذا المبحث عن الجوانب التالية:

تعريف ختم النبوة:

أ- معنى الختم في اللغة: الختم في اللغة ورد لعدة معان هي:

١- الطبع: قال صاحب المحكم " ختمه، يخرمه، ختما: طبعه¹"

٢- تغطية الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء:

¹ المحكم لابن سيده، بتحقيق إبراهيم الأبياري، ج5، ص26

قال صاحب المحكم " والختم على القلب ألا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنه طبع. ومعنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال عز وجل: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾¹، وذكر هذا صاحب اللسان وصاحب تاج العروس².

٣- آخر الشيء ونهايته: قال صاحب المحكم " وختم الشيء يختمه: ختما بلغ آخره، وخاتم كل شيء: عاقبته وآخرته، وختام كل مشروب آخره، وفرض التنزيل ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾³ أي آخره، وختام القوم وخاتمهم آخرهم ... وفي التنزيل ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾⁴ أي آخرهم.⁵ وقال صاحب المفردات في معرض كلامه عن الصور التي يرد بها لفظ الختم " وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل: ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره ... إلى أن قال: وخاتم النبیین لأنه ختم النبوة، أي تمها بمجيئه ﷺ.⁶ وقال صاحب القاموس " والخاتم من كل، شيء: عاقبته وآخرته، وآخر القوم كالخاتم⁷.

¹ سورة محمد، الآية (24)

² تاج العروس ج8، ص266.

³ سورة المطففين الآية (26) .

⁴ سورة الأحزاب الآية (40)

⁵ المحكم (26 /5)

⁶ المفردات (ص 142-143)

⁷ القاموس (ج2، ص 15) بترتيب الزاوى

"هذه هي المعاني اللغوية لفعل" الختم "واسم فاعله" خاتم "كما أوردها أعلام اللغة في مصنفاتهم عن العرب، وهي مع تعددها وتعدد ألفاظها المعبرة عنها والتي هي: الطبع على الشيء وإنهاؤه وتغطيته وآخر القوم وعاقبة الأمر، هي مع ذلك كله تتمشى مع دلالة قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ على أن النبوة قد طبع عليها فلا تفتح، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد ﷺ، وأنه آخر الأنبياء وشرعه آخر الشرائع وعاقبتها

ب - معنى ختم النبوة:

تقدم معرفة معنى الختم في اللغة، وتقدم أيضا معرفة معنى النبوة في المبحث الثاني من هذا الفصل. فإذا ما ركبا في جملة واحدة هي "ختم النبوة" فإنه يكون معناها "انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء".¹

الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة

أ - آية الختم:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

¹ عقيدة ختم النبوة، للدكتور أحمد بن سعد الغامدي، ص 27

والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد ﷺ وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثا فلا

نبي بعده ولا رسول. وقد سبق الربط بين دلالة الآية والمعنى اللغوي لكلمة "ختم".

وتتميما للفائدة سأعرض بعض ما ذكره علماء التفسير عند تفسير هذه الآية.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس مُخَدَّ أبَا زيد بن حارثة ١

ولا أبَا أحد من رجالكم، الذين لم يلدوه مُخَدَّ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه

رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده إلى قيام

الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء.¹

وقال ابن كثير رحمه الله: "فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا

رسول بالطريق الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل رسول نبي ولا

ينعكس، بذلك وردت الأحاديث المتواترة

عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم... إلى أن قال: فمن رحمة الله

بالعباد إرسال مُخَدَّ ﷺ، ثم من تشریفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف

له.

¹ تفسير الطبري، ج 22، ص 16.

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا

أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل¹

وأقوال المفسرين عموماً متفقة على أن المراد من الآية هو ختم النبوة وأن رسول الله صلى الله

عليه وسلم هو آخر الأنبياء مبعثاً، ولم ينقل عن أحد من أهل التفسير خلاف ذلك.

وقد تعرض أهل التفسير للقراءات الواردة في قوله "خاتم" من هذه الآية فذكروا أن فيها

قراءتين:

الأولى: قراءة الكسر "خاتم" وهي الأشهر عند أهل اللغة والتفسير الذين أجمعوا أن قراءة

الكسر هي قراءة الجمهور وعامة قراء الأمصار² وعلى هذه القراءة "وخاتم النبيين" يكون

المعنى أنه: "ختم النبيين" لأنه ختم به النبيون فهو خاتمهم.

الثانية: قراءة الفتح "خاتم" وهي الأقل استعمالاً بين القراء ولهذا فإن المفسرين لا يعزونها إلا

إلى أفراد القراء كعاصم³ وابن عامر⁴ وغيرهما.

فعلى هذه القراءة "وخاتم النبيين" يكون المعنى أي آخر النبيين مبعثاً فيه انتهت النبوة.

¹ تفسير ابن كثير ج3، ص 494.

² تفسير الطبري ج22، ص16، وتفسير البغوي (ج6/565)

³ عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي، أحد القراء السبعة، توفي سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل غير ذلك. تهذيب التهذيب (5/38-40)

⁴ عبد الله بن عامر اليحصبي، أحد القراء السبعة، كان قاضي مشق في أيام الوليد بن عبد الملك وإمام مسجد دمشق وتوفي بها سنة ثمان عشرة ومائة. تهذيب التهذيب (5/274، 275).

وبالرغم من ورود القرائتين في الآية إلا أن المفسرين لا يرون أن في ذلك تأثيراً على المعنى وهو انقطاع النبوة بعد نبينا محمد ﷺ.

ب - الآيات الدالة ضمناً على ختم النبوة:

في القرآن الكريم آيات كثيرة دلت ضمناً على ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد ﷺ.

ومن هذه الآيات آيات عموم الرسالة وعالميتها والتي تقدم ذكرها في المبحث الثالث، حيث إن عموم الرسالة من الناحيتين الزمانية والمكانية يدل على كونها خاتمة الرسالات، لأن البشرية على هذا الحال لا تحتاج إلى دين جديد مادام هذا الدين قد خاطبهم جميعاً على اختلاف أجناسهم وأماكنهم وأزمانهم. ومن الأدلة كذلك الإخبار بإكمال هذا الدين وإتمامه:

قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ فالآية تؤكد أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها،

لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ، ثم رضيه له ربها، لأن الله سبحانه

وتعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ، ثم رضيه له ولأمته دينا يعبدون الله به إلى يوم القيامة¹.

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل

تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه،

¹ كتاب عقيدة ختم النبوة (ص 27 - 28)

ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن.¹

الأدلة من السنة على ختم النبوة

إلى جانب ما ورد في القرآن من أدلة على كون النبي ﷺ خاتم النبيين ورسالته هي خاتمة الرسالات، فقد ورد في السنة كذلك أحاديث كثيرة أكدت هذا الأمر وبينته ونهت عليه. وقد وردت هذه الأحاديث بعبارات متعددة متنوعة لكنها جميعا أكدت على مدلول واحد، هو انقطاع الوحي بعد النبي ﷺ وختم النبوة به. وقد بلغ بعض هذه الأحاديث حد التواتر، كما أنها في جملتها متواترة تواترا قطعيا. ونظرا لتنوع ألفاظ تلك الأحاديث واختلاف صورها في الدلالة على هذا المعنى وتأكيده، فإن من المناسب أن أعرضها لك على النحو التالي:

أ- الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه ﷺ خاتم النبيين، ومنها:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه -

فنهس² منها نُهسة ثم قال "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟"، ثم ذكر

ﷺ يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه

¹ تفسير ابن كثير (ج2، ص12).

² النهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان، والنهش الأخذ بجمعها.

ﷺ، فذكر ﷺ أنهم يقولون: "أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك ... " الحديث¹

٢ - عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ٢ وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ٣ وإن ربي قال لي يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضها، وحتى يكون بعضهم يسيب بعضها، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق."

قال ابن عيسى: "ظاهرين" ثم اتفقا لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله².

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير: باب ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ . ينظر فتح الباري (٨/٣٩٥، ٣٩٦) ح ٤٧١٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب أدنى الجنة منزلة فيها (١/١٢٧).

² أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في السنن، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٢/٤٥٠، ٤٥٢) ح ٤٢٥٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٨) وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن (٢/٢).

شبهات البابية والبهائية في ختم النبوة

تتفق البابية والبهائية والقاديانية في الشبهات التي أوردوها وانفردت البابية والبهائية بثلاث شبهات وإلى القارئ البيان:

الشبهة الأولى والجواب عنها: هي أن شريعة الإسلام لم تعد صالحة لهذا العصر ولم تعد مقبولة في ظل الحضارة المادية الحاضرة وسوغ دعايته الضالة بقوله: (الإنسان ما زال في تطور ورفي فكذاك الشرائع في تطور وتبدل على مقتضى الأزمان والأدوار والشريعة التي تصلح لزمان قد لا تصلح لزمان آخر فهذه الأمة المحمدية قد كانت مستظلة بسماء شريعة القرآن أكثر من اثني عشر قرناً تركتها واستعاضت عنها بالقوانين الوضعية ولا تكاد تجد الآن دولة من دول أمة القرآن تحكم بشريعة القرآن كاملاً إلا في بعض الأحوال الشخصية وما ذاك إلا لأنهم لم يجدوا أنها تصلح لزمانهم هذا)¹.

أقول وبالله التوفيق: الجواب عن هذه شبهة هذا الكذاب:

١٣٠٤) ، وأخرجه مختصراً مسلم في صحيحه إلى قوله "يسبي بعضهم بعضاً" كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة (٨ / ١٧١) ، وكذلك أخرج مسلم آخره من قول " لا تزال طائفة من أمتي... " كتاب الإمامة باب قوله ﷺ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... الخ" (٦ / ٥٢) ، وأخرج الترمذي في السنن بعضه من قوله " لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي - إلى قوله - لا نبي بعدي" كتاب الفتن: باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤ / ٤٩٨ ، ٤٩٩) ح ٢٢١٨ ، وقال هذا حديث حسن صحيح.

1 من ((حقيقة البابية والبهائية)) للشيخ محسن عبد الحميد نقلاً عن ((التبيان والبرهان)) (7/2).

أما قوله إن شريعة الإسلام لم تعد صالحة لهذا العصر إلخ فكلام باطل مسروق من كلام المستشرقين الذين يحملون الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين ويطعنون في هذا الدين القيم مثل هذا الطعن الذي لم يكتسب وصف الصحة يوماً قط ولم يتأيد ببرهان بل الشريعة الإسلامية شريعة كاملة وافية بحاجات البشر من يوم أن نزلت من السماء على رسول رب العالمين وخاتم النبيين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والدليل الأول على ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾¹ يصرح الله بكمال هذه الشريعة الغراء ويطعن فيها هذا

الدجال بأنها لم تعد صالحة لهذا العصر يعني أنها ناقصة إن صلحت للعصر النبوي فلا تصلح لهذا العصر أي فيحتاج الناس إلى نبي جديد وكذب في ذلك وقلب الحقائق وموه على

خفافيش الأبصار وقال الله في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾² أمرنا الله باتباع سبيل

القرآن والسنة فلو كانت غير صالحة لما أمرنا باتباعها. وفي الحديث الشريف عن النبي صلى

الله عليه وسلم: ((تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك))³. قال

¹ سورة المائدة الآية 3

² سورة الأنعام الآية 153

³ رواه ابن ماجه (43) وأحمد (126/4)(17182) والحاكم (331) والطبراني (15352) كلهم بدون لفظة المحجة. قال الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (937): إسناده صحيح. وصرحه في ((صحيح الترغيب)) (59).

أبو ذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء - إلا وهو يذكرنا منه علما-¹. أو كما قال.

والشريعة الإسلامية شريعة عالمية صالحة لجميع الأقاليم والأجناس وبالاختصار نقول: صالحة لسكان الكرة الأرضية كلهم خالدة جاءت لتبقى على كر الدهور ومر العصور إلى يوم ينفخ في الصور وما أتت الشريعة يوماً قط لقوم دون قوم أو لعصر دون عصر ومن ادعى خلاف هذا القول فقد كفر بالله العظيم واتبع غير سبيل المؤمنين ولو ذهبنا نسرد الأدلة من الكتاب والسنة لطلال بنا المقام ولكن نكتفي بالآيتين والحديث الأنف الذكر.

الدليل الثاني: قلنا جاءت هذه الشريعة لتبقى دائماً لا ينسخها ناسخ كما مر في باب النسخ وأنها تعطي للثقلين متطلبات الحياة ولها رصيد من التشريعات لكل ما يفتقر إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم وفيها الاستعداد الكامل لحل كل مشكلة تحدث للأنام وذلك لما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من القواعد والأسس والنصوص العامة ما يتمكن منه المجتهد على اختلاف العصور والبلدان والمجتمعات أن يستخرج من الوحيين ما يحل كل مشكل ويحكم في كل نازلة وإن لم تكن حدثت في عصر الرسول وأصحابه أو في العصور التي بعدهم. وقوله: (إن الأمة المحمدية يعني دولها استعاضت بالقوانين الوضعية

¹ رواه الطيالسي (479) وأحمد (153 /5)(21399) والطبراني (155 /2)(1647) والدارقطني في ((العلل)) (1148). قال البزار في ((البحر الزخار)) (341 /9)

الجواب: إن التعميم الحاصل منه لجميع الأمة الإسلامية في كونها تركت أحكام الشريعة الإسلامية غير صحيح بل لا زال والله الحمد كثير من الدول تحكم بالشريعة المحمدية وأما احتجاجه بالدول الآخذة بالقوانين فحجة أوهي من بيت العنكبوت إذ فعل هؤلاء ليس حجة على شريعة الله ورسوله هؤلاء الآخذون بالقوانين متأثرون بدعاية الغربيين والمستشرقين ولقلة علمهم بدين الإسلام الصحيح وما أتى به من حل كل المشاكل التي تحصل للبشر ومن خضوعهم لدول الغرب والشرق وجعل أنفسهم أذنا بلهم تركوا بعض الأحكام الشرعية وجنحوا إلى القوانين الأوروبية أي فعل هؤلاء حجة وأحوالهم معلومة من كونهم يدورون في فلك الدول المستعمرة لا يبالون بدين ولا شريعة وبعضهم قد دخل في مبدأ الماسونية أناس لا يعرفون الله ولا يخضعون لشريعة الله ويستبيحون المحرمات ويقرون المنكرات في بلادهم فهل يحتاج عاقل بفعل هؤلاء ولو فرضنا أن تنصر هؤلاء أو تهود بعض المسلمين أف يكون حجة لليهود والنصارى على أن دين الإسلام غير صحيح والحجة دائما إما أن تكون عقلية أو نقلية، والنقلية إما من كتاب ربنا أو سنة نبينا وليس هنا حجة لا من عقل ولا من نقل فإذا كان البهائي ومثله القادياني يعترف أن محمدًا رسول الله والرسول باتفاق المسلمين واليهود والنصارى وسائر الملل من صفاته الصدق وعدم الكذب فإذا كان كذلك فالرسول ﷺ قد أخبر إضافة إلى القرآن أن الله ختم به النبوة في أحاديث كثيرة متواترة والتواتر يفيد القطع بالاتفاق وقيام الدين البهائي لم يخف على أحد أنه قام على أكتاف دولة الروس وأن هذه الدولة هي التي حضنت البهائية وربتها ولما ترعرعت هذه الديانة وشبت وأعلنت كفرها

الصريح وقتل الميرزا علي محمد الباب ونفي أتباعه احتضنهم الإنجليز وأوحى لهم أن يتخذوا عكا

مركزا لهم ديانة هذه أصولها فكيف يقبلها عاقل ويصدق بأنها سماوية؟

والتشريعات التي أتى بها هي من السخف والهذيان بمكان لا يخفى ويكفي أنه قد أباح الزنا

لقاء مثاقيل من الذهب تؤخذ من الزاني لبيت المال وكفى بهذا قبحا وضلالا.

الشبهة الثانية والجواب عنها

الشبهة الثانية للبايية والبهائية على ختم النبوة بمحمد ﷺ هي أن الله قال: ﴿وَلَكِنْ رَسُولٌ

اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾¹

والجواب عن هذه الشبهة السقيمة أن نقول: إن الآية الكريمة نص في أن لا نبي بعده وإذا

كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام

النبوة فإن كان كل رسول نبي ولا ينعكس لأنه يلزم من ختم النبوة وهي الأعم ختم الرسالة

وهي الأخص وذكر ذلك أكثر المفسرين وهذا من بلاغة القرآن ودقة تعبيره حيث لم يقل

وخاتم المرسلين لأنه لو قال كذلك لقال المتنبئون الكذابون ولم يقل وخاتم النبيين على اعتبار

خصوصية الرسالة ولكن الله قطع عليهم الطريق بقوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، لأن الرسالة مبنية

على النبوة فإذا احتجبت النبوة احتجبت الرسالة معها وهذا على القول بالفرق بين النبي

والرسول كما هو قول الجمهور قائلين إن النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول

¹ سورة الأحزاب الآية 40

من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه وقال بعضهم: إنهما مترادفان فلا فرق بينهما واستدلوا

بالآيات والأحاديث التي أطلقت لفظ الرسول والنبي على رجل واحد فإذا كانا مترادفين فلا

مستمسك للبهائية والقاديانية بأنه لم يقل وخاتم النبيين كما لا يخفى.

الجواب الثاني أن نقول: ذكر الله في القرآن آيات كثيرة تدل على انقطاع النبوة بعد مُحَمَّدٍ صَلَّى

الله عليه وسلم، منها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾¹ الآية، فإنها دلت على أنه تعالى أكمل لهذه الأمة دينه من

جميع الوجوه بحيث يكفي لكافة الوري إلى يوم الدين فلا حاجة لها إلى نبي بعد نبيها صلى

الله عليه وسلم ولا إلى دين غير دينها كما صرح به ابن كثير وعامة المفسرين وبالجملة فهذه

الآية صرحت بختم النبوة وبه تجلّى لك معنى الآية المذكورة.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾² فقد صرح بعموم بعثته

لكافة الوري إلى يوم القيامة وهو إعلان بختم النبوة بعده عليه السلام.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾³. دلت على عموم البعثة

وختم النبوة.

1 المائة: الآية 3

2 سورة الأعراف الآية 158

3 سورة سبأ الآية، 28

ومنها قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹ فإنه عليه السلام لما كان رحمة للعالمين كافيا في هدايتهم فلا يحتاجون إلى الإيمان برسول أو نبي بعده بل جريان النبوة بعده عليه السلام يستلزم أن يكفر من أمته من لم يؤمن بأنبياء ما بعده بعدما آمن به عليه السلام واتبعه وعمل بشريعته وحينئذ لم يبعث النبي ﷺ رحمة لجميع العالمين فقد صرحت الآية بختم النبوة بعده عليه السلام وبالجملة فغير آية من القرآن دلت على أن المراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين آخرهم أجمعين من دون تأويل ولا تخصيص ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾²

¹ سورة الأنبياء الآية 107

² سورة محمد الآية 24

المحاضرة السادسة حول عصمة الانبياء

1. تمهيد:

العصمة: أن يكون الرسل والأنبياء معصومين في تحمل الرسالة والتبليغ عن الله، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ولا يكتمون شيئاً منه. وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي تحصل مقصود النبوة والرسالة. والكلام في هذا المقام مبني على أصل؛ وهو: أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه وأما عصمتهم في غير ما يتعلق بالتبليغ عن الله فاختلف فيه¹.

2. تعريف العصمة

عرّف الشيخ رشيد العصمة لغةً فقال " هي في اللغة المنع².

وأما اصطلاحاً، فقد عرفها معتمداً على مصدرين: أحدهما التعريفات للجرجاني ، والثاني: المواقف للإيجي ، والذي كان يعتبره . حتى المجلد الخامس . هو أعظم كتب الكلام. وشرح الشيخ رشيد قول الجرجاني " العصمة: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن

¹ : ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، ج10 ، ص289

² مجلة المنار ، 5، ص18

منها¹، " فقال " :أي أن المعصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه، فالعصمة وازع نفسي راسخ في النفس، وهي في الأنبياء فطرية، وقد يكون لغيرهم . بحسن التربية . من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن موافقة الفجور والدنايا ويسمي علماءنا هذا المعنى حفظاً للترفة² . يعني التفرقة بين الأنبياء وغيرهم.

3. **بعض مسائل العصمة:** من المسائل المتعلقة بالعصمة، ومنها:

أولاً: العصمة من الصغائر:

وقد وقع خلاف في جواز وقوع صغائر الذنوب من الأنبياء فذهب قوم إلى جوازه، إلا أنهم لا يقرون عليها، بل ينبهون فيتوبون ويستغفرون³ . وذهب آخرون إلى امتناع ذلك عليهم . صلى الله تعالى عليهم . لأننا مأمورون بالتأسي بهم، وأولوا ما ورد في ذلك مما ظاهره إثبات الذنوب للأنبياء واستغفارهم منها⁴ .

واحتج الأولون بطواهر الآيات التي تدل على ما ذهبوا إليه،

كقوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾⁵ .

¹ التعريفات (ص: 131)

² مجلة المنار (5/ 18)

³ ابن تيمية: مجموع الفتاوى (4/ 419)

⁴ القاضي عياض: الشفاء (ص: 136) وما بعدها

⁵ سورة الفتح، الآية 2

وقوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾¹.

وقوله : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴾².

وقوله : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾³.

وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾⁴. فهذا وغيره فيه إثبات الأوزار

والذنوب والخطايا على الرسل . صلى الله تعالى عليهم . وأجيب عن كل ذلك بأجوبة منها أن

ذلك كان من بعضهم قبل النبوة، وأنها . لعلو منزلتهم وشدة خوفهم من الله تعالى، ليست

ذنوباً حقيقية وإنما هي أشياء خافوا منها، وقد وقعت منهم بناءً على اجتهاد لم يسبق فيه

نص، أو هي : كانت . كما قيل .: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي أنهم يرونها بالنسبة

إلى نبوتهم كالسيئات . لذلك استغفروا منها، وأخبروا أنها قد غفرت لهم⁵ .

وأما الشيخ رشيد فيقول . بعد إثباته للعصمة كما سبق . أنه ليس معناها أن الأنبياء " آلهة

منزهون عن جميع ما يقتضيه الضعف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على

الوجه الأكمل، ومن الخطأ في الاجتهاد في بعض المصالح والمنافع ودفع المضار ... ولا يمكن

أن يحيط بوجوه المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد إلا من هو بكل شيء عليم، ومن ليس

¹ سورة محمد، الآية 19

² سورة التوبة، الآية 43

³ سورة طه، الآية 121

⁴ سورة الشعراء، الآية 82

⁵ القاضي عياض، الشفاء (ص: 149 . 150)

له هذه الإحاطة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد أنه الصواب والخير فيجيء بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى ذنباً من الكامل والمقرب ... فإذا وقع هذا من الأنبياء يعاتبهم الله تعالى عليه ويغفره لهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأمتهم ليعرفوا الفرق بين الرب والعبد، فلا يفضي بهم الغلو بتعظيم أنبيائهم والإعجاب بفضائلهم ونزاهتهم إلى عبادتهم مع الله تعالى ثم أورد الشيخ رشيد أمثلة لذلك منها قصة الأعمى ، ومسألة زيد وزينب ، ومسألة أسرى بدر ، كأمثلة على اجتهادات خالفت الأولى أو الصواب . ثم قال : " فهذه هي ذنوب الأنبياء وهم يستغفرون منها وهي مغفورة لهم بفضل الله تعالى ... وإنما فيها فائدة معرفة الناس أن النبي وإن جل قدره وعلت نفسه فهو بشر مثلهم ميزه الله تعالى بالوحي وجعله إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب إليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أنه له أن يغفر له وله أن يعاقبه ¹ ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ .

إن الشيخ رشيد يثبت العصمة للأنبياء ولكن يثبت أيضاً ما يكون من مقتضى الجبلة البشرية والجنس الإنساني من جواز الخطأ في الاجتهاد واختيار الأقرب والأسهل إلى نفس الإنسان، لأن الأنبياء لا يتحولون بنبوتهم إلى آلهة وهذه هي الذنوب التي تقع منهم ويغفر لهم ولا يقرون عليها.

¹ مجلة المنار (5/ 49)

فالشيخ رشيد قد وافق أهل السنة في إثبات وقوع هذا النوع من الصغائر. إلا أنه أيضاً لم يخالف الفريق الآخر، لأنه لم يثبت ما أنكره، وهو ما أراه راجحاً في المسألة، وأن الخلاف بين الفريقين لفظي، لأن الذنوب التي ينفیها هؤلاء غير الذنوب التي يثبتها هؤلاء، فإن الذي ينفیه ليس كذنوب غيرهم ومعاصيهم، وإنما الذنوب التي لغيرهم هي ما يأخذ من اسمها وهو الشيء الذي الرذل، أما الأنبياء فإن أسوأ ما يكون منهم هو ما ذكر من خطأ في اجتهاد أو شيء دفعت إليه الجبلية الإنسانية، لولاه لكان الإنسان ملكاً.

وبناءً على ذلك لا يكون النسيان مثلاً. منافياً للعصمة، وهو ما يقرره الشيخ رشيد.

ثانياً: العصمة في التبليغ:

قال الشيخ رشيد نقلاً عن الإيجي ... " إن أهل الملل والشرائع قد أجمعوا على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى، وإن عاقلاً لا يجمع بين الإيمان بالوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ عنه، فإن كان هذا جائزاً فأى ثقة بالوحي¹.

ثالثاً العصمة من الكفر وكبائر الذنوب:

قال الشيخ رشيد " وأجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها، وليس هنا شبهة لأحد فتوسع فيه.

¹ الإيجي: المواقف (ص: 358)

وأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر¹ والموبقات. وقد نقل عن الإيجي ذلك الحكم، كما نقل الخلاف بين الأشعرية الذين يقولون بأن دليل ذلك السمع مخالفة للمعتزلة الذين يقولون أن دليل ذلك العقل بناءً على قاعدة التحسين والتقييح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح، لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبته من القلوب، وانحطاط رتبته في أعين الناس فيؤدي إلى النفرة منهم.²

ثم أبدى الشيخ رشيد رأيته في ذلك فقال: "والذي نراه أنه يصح الاستدلال بالعقل على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقييح العقليين ولا سلب الاختيار عن الله تعالى، وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نزاهتهم وكونهم قدوة في الخير والفضائل... وفي الكتاب والسنة إسناد الذنوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والعلماء يأولون ذلك، وقصارى هذا كله وجوب الاعتماد على الدليل العقلي والتوفيق بينه وبين ما ورد من إسناد الذنوب إليهم³."

فالعصمة ثابتة بالعقل والنقل، والذي يثبت أيضاً نسبة بعض الذنوب إليهم، ويحتاج هذا إلى الجمع بين ما يظهر من التعارض. فسوف يبين الشيخ رشيد لنا الأدلة العقلية ثم النقلية على

¹ الرازي: عصمة الأنبياء ط. دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ. ص: 26

² الإيجي: المواقف (ص: 359)

³ مجلة المنار (21 / 5)

وجوب العصمة للأنبياء، ثم يرد ما قد يرد على ذلك من شبهات تقدح - بحسب الظاهر - فيما قرناه.

4. الأدلة العقلية والنقلية على ثبوت العصمة:

لقد بنى الشيخ رشيد - رحمه الله - الدليل العقلي على وجوب ثبوت العصمة للأنبياء على ما بينه من وجه الحاجة إليهم ومن وظائفهم التي بينها إجمالاً ثم تفصيلاً. وقد قسم هذه الوظائف إلى قسمين: نوع في بيان الاعتقادات، ونوع في تهذيب النفس وتزكيتها. قال ... " :وبديهي أن العمدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم حوله الشك والريب، والعمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الأسوة وصحة القدوة بالمخبر ... ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر إلا إذا كان المخبر معصوماً من الكذب والخطأ في التبليغ، ولا تتم القدوة وتحسن الأسوة إلا إذا كان الإمام المقتدى به بريئاً من النقائص ... إذاً لا تتم حكمة الله تعالى في إرسال الرسل إلا إذا كانوا بحيث ذكرنا من الصدق والنزاهة ... ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة¹ وبعد إيراده للدليل العقلي نورد أدلة الكتاب العزيز التي تثبت عصمة الأنبياء، " الدليل النقلية على عصمتهم أن الله تعالى ما أرسل المرسلين إلا ليتبعوا ويقتدى بهم وقد أمر باتباعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام : ﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ النَّبِيِّ الَّذِيْ يُّؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ

¹ الرازي: عصمة الأنبياء (ص: 29)

وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ¹ ، فلو كانوا يخالفون ما يجيئون به من الهدى لكان الله تعالى آمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد، وهو محال على الله تعالى. ولو فعلوا الفاحشة لكان الله آمراً بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع، وأمر بالتأسي بالعظماء أمر تكوين بأن أودع ذلك في فطرة الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾².

وهذا الاستدلال من الشيخ رشيد صحيح، ولكن أرى أنه استدلال عقلي أيضاً، كالأول، والأولى عند الاستدلال بالكتاب العزيز أن يستدل بأدلة مباشرة، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾³ ، وكقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فهذا استدلال مباشر بالكتاب على عصمة الأنبياء، وأما استدلال الشيخ فهو بواسطة العقل.

¹ سورة الأعراف، الآية 157

² سورة الأعراف، الآية 28

³ سورة الأنعام، الآية 124

المحاضرة السابعة حول النبوة والولاية

1. **تعريف الولاية والولي لغة:** الولي بفتح فسكون: القرب والدنو، وحصول ثان بعد أول

من غير فصل يقال: تباعد بعد ولي، وكل مما يليك أي يقاربك. ويقال سقط الولي

وهو المطر يلي الوسمي ويحصل بعده. والمطر الولي يقال أيضاً بوزن فاعيل.

والولاء بالفتح: القرابة والنصرة يقال بينهما ولاء. وبالكسر الموالاتة والمتابعة تقول أفعل هذه

الأشياء على الولاء وتوالت عليه شهران. والموالاتة بين شخصين تكون أيضاً مضادة للمعاداة.

والولاية بالكسر السلطان يقال وليت الأمر إليه فأنا وال. ونحن ولاية وبالفتح النصره يقال هم

على ولاية إذا اجتمعوا على النصره. وتكون الولاية بالكسر على هذا المعنى عند الجمهور،

وجعلها سيبويه اسماً لما توليته وقمت به. والمولى ابن العم، والعاصب، والحليف والناصر،

والجار.

والولي وزان فاعيل ضد العدو من وليه إذا قام به يكون بمعنى فاعل وبمعنى مفعول فمن الأول

الله ولي الذين آمنوا، ومن الثاني المؤمن ولي الله للمطيع له. وكل من ولي أمر غيره فهو وليه.

ويطلق على ابن العم والناصر والصديق والمحب. تقول توليته إذا جعلته ولياً. ومنه: ومن

يتولهم منكم فإنه منهم¹. وقد قيل إن الولي سمي ولياً من مولاته للطاعات أي متابعتها لها

ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد²

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره: والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه

بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ﴾³، أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله

سبحانه. وقال الدكتور إبراهيم هلال: وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والقرب هو الذي

أراده القرآن الكريم من كلمة ولي ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه سواء في جانب أولياء

الله أو في جانب أولياء أعداء الله وأعداء الشيطان.⁴

2. المساواة بين النبي والولي:

وأما تسوية الصوفية بين الولاية والنبوة، بل وتفضيلهم الولاية على النبوة والرسالة، والأولياء

على أنبياء الله ورسله، مثل الشيعة، فتدل عليه عبارات القوم وتصريحاتهم، فيقول لسان

الدين ابن الخطيب: الولاية: أن يتولى الله الواصل على حضر قدسه، بكثير مما تولى به النبي

من حفظ وتوفيق، وتمكين واستخلاف وتصريف.

¹ ينظر: كل هذا من الصحاح والقاموس والأساس والمصباح. رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد المليبي - ص: 112

² الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر

السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 11

³ سورة يونس الآية 63.

⁴ نفس المصدر السابق، الموسوعة العقدية.

فالولي يساوي النبي في أمور ، منها : العلم من غير طريق العلم الكسبي ، والفعل بمجرد المهمة ، فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم ، مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم .

كان الفضيل بن عياض ، على جبل من جبال منى ، فقال : لو أن وليا من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميد لماد ، فتحرك الجبل ، فقال : اسكن . لم أردك بهذا ، فسكن الجبل .

ويفعل بالهمة في عالم الخيال وفي الحس ، فإنه يسمع ويرى ، ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس . ويفارق الولي النبي في المخاطبة الإلهية ، والمعارج ، فإنهما يجتمعان في الأصول وهي المقامات ، إلا أن النبي يعرج بالنور الأصلي ، والولي يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلي ، وإن جمعهما مقام مختلفا بالوحدة في كل مقام ، من فناء وبقاء ، وجمع وفرق . والولي يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه ، ومن مقامه يشهد ، إلا ما كان من الأولياء المحمديين ، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعاً لمقامات الأنبياء (أورثهم الله مقامات الأنبياء) وأوصل إليهم أنوارهم ، من نور نبيهم الوارث ، وبوساطته ، فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح . ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه ، وإليه الإشارة بقوله) أولياء أمتي أنبياء من دونهم (فقد يرث ولي من الأولياء آدم ، أو إدريس ، أو إسحاق ، أو إسماعيل ، أو يوسف ، أو موسى ، أو عيسى ، لكن لا يتوصل إلى نوره ولا

حاله إلا من مُجَّد صلوات الله وعليهم وسلامه ، إلا القطب وحده ، فإنه على قلب مُجَّد صلى

الله عليه وسلم) ومثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون⁽¹⁾

و أن الأولياء لهم أربعة مقامات: الأول مقام خلافة النبوة ، والثاني مقام خلافة الرسالة ،

والثالث مقام خلافة أولي العزم ، والرابع خلافة مقام أولي الاصطفاء.

فمقام خلافة النبوة للعلماء.

ومقام خلافة الرسالة للأبدال.

ومقام خلافة أولي العزم للأوتاد.

ومقام خلافة الاصطفاء للأقطاب.

فمن الأولياء من يقوم في عالم مقام الأنبياء ، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل ، ومنهم من

يقوم في عالم مقام أولي العزم ، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي الاصطفاء.

وعلى ذلك قالوا: الولاية ظل النبوة ، والنبوة ظل الإلهية فالأنبياء عليهم السلام مصادر

الحق ، والأولياء مظاهر الصدق ... والأولياء خصوا بإشارات نبوية ، وإطلاعات حقيقة ،

وأرواح نورية ، وأسرار قدسية ، وأنفاس روحانية ، ومشاهدات أزلية.⁽²⁾

¹ روضة التعريف، للسان الدين بن الخطيب، ص 519 ، 520.

² الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين لأبي الظفر ظهير الدين القادري ، المطبعة الخيرية مصر الطبعة الأولى 1306 هـ،

و يمثل هذا قال الكمشخاوي في كتابه جامع أصول الأولياء.⁽¹⁾

وآخر قال بوضوح أكثر: ما قيل في النبي يقال في الولي، و كذب على رسول الله ﷺ أنه حكى عن الله عز وجل أنه قال: أولئك كلامهم كلام الأنبياء.²

3. تفضيل الولي عند الصوفية

من أحكام الولاية أيضا. فكل رسول لا بد أن يكون نبيا ، وكل نبي لا بد أن يكون وليا ، فكل رسول لا بد أن يكون وليا. فالرسالة بخصوص مقام في الولاية ، والرسالة في الملائكة دنيا وآخرة ، لأنهم سفراء الحق لبعضهم ... والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا ، وينقطع حكمها في الآخرة ، وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار نبوة التشريع ، لا نبوة العامة. وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية. وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع. فهي حال لا مقام ، ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ ، وهي تتجدد³. بخلاف الولاية فإنها لا تنقطع أبدا ، ولا تحدّ ، لا بالزمان ولا بالمكان ، ولها الإنباء العام) والله لم يتسمّ بنبي ولا برسول ، وتسمّى بالوليّ ، واتصف بهذا الاسم ، فقال: الله ولي الذين آمنوا ، وقال: هو الوليّ الحميد ، وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة.⁴

¹ جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي ، ط المطبعة الوهيبية طرابلس 1397 هـ. ص 70

² الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص 264 ط عالم الفكر القاهرة 1983 م، ص 116.

³ الفتوحات المكية لابن عربي ، ج 2 ص 256 ، 257.

⁴ فصوص الحكم لابن عربي بتعليقات الدكتور أبي العلاء العفيفي ج 1 ، ط دار الكتاب العربي بيروت ، ص 135 .

وأن الولي يعلم علمين :علم الشريعة , وعلم الحقيقة , أي الظاهر والباطن , والتنزيل والتأويل , حيث أن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل (الشريعة) فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو وليّ عارف , ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتمّ وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع.⁽¹⁾

وأن النبي والرسول يستمدّ بالعلم والمعرفة من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته , ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة , والوليّ يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الذي يؤدي بدوره إلى الأنبياء والرسل) فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم.

فلذلك قال ابن عربي بصراحة لا تحتمل التأويل: وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم , ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الوليّ الخاتم , حتى أن الرسل لا يرونه - متى رأوه - وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن الله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقد قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾²

¹ ولاية الله والطريق إليها، لإبراهيم هلال، ص: 71.

² سورة يونس ، الآيات 62، 64.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ هُمُ

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹.

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾²

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ﴿فَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ

وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾³

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا النساء﴾⁴

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾⁵

¹ سورة البقرة الآيات 257

² سورة المائدة الآية 51

³ سورة النحل ، الآيات ، 97 ، 100،

⁴ سورة النساء الآية 86

⁵ سورة آل عمران: الآية 175

وعلى هذا فالتقسيم الصحيح للناس في هذه الحياة الدنيا هو أنهم ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما وهو أن أي أحد من الإنس أو الجن في هذه الحياة إما أن يكون ولياً لله وإما أن يكون عدواً لله وليست الولاية محصورة في أشخاص معينين كما يزعم الصوفية ذلك بل ما نعتقده هو أن أي مسلم يؤمن بالله وبرسوله وينفذ أوامر الله ويجتنب نواهيه فهو ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى. ثم إن من شرط ولاية الله سبحانه وتعالى هو أن يؤمن الإنسان بالله وبرسوله وأن يتبع الرسول في الظاهر والباطن وكل من يدعي محبة الله وولايته بدون متابعة الرسول ﷺ فهو كاذب مفتر دجال وليس من أولياء الله بل هو من أولياء الشيطان قال تعالى

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾¹

قال الحسن البصري رحمه الله: ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله. فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان معهم بل يدعون أنهم أبناءه وأحباؤه. وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون على غيرهم.²

¹ سورة آل عمران: الآية 31

² الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص: 9

ولكن الصوفية خصصوا لولاية الله سبحانه وتعالى أعداداً معينة في حدود الأربعين أو الثلاثمائة أو غيرها من الأعداد التي يذكرها المتصوفة لمن يطلقون عليهم أنهم أولياء الله وأصبحوا يصفونهم بأوصاف لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى حيث ادعوا بأن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون تصرفاً مطلقاً ويدعون ويستغاث بهم من دون الله وهذه كلها معتقدات فاسدة دخيلة على الإسلام جلبها المتصوفة من الطوائف الوثنية الضالة التي تعبد البشر من دون الله.¹

وولاية الله موافقته بأن تحب ما يحب وتبغض ما يبغض وتكره ما يكره وتسخط ما يسخط وتوالي من يوالي وتعادي من يعادي²

والمراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته³

وقال ابن القيم رحمه الله : فالولاية هي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه

وقال أيضاً رحمه الله : فولي الله هو القريب منه المختص به.

وقال ابن تيمية رحمه الله : والولاية هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل

¹ مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية لإدريس محمود إدريس - 584 / 2

² الاستقامة، لابن تيمية ، ج2، ص 128.

³ فتح الباري ، لابن حجر ، ج10، ص 350.

وقال أيضاً رحمه الله : فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضاته وتقرب إليه بما أمر به من طاعته.

وقال السيوطي رحمه الله : وهو العارف بالله حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات¹.

4. الفرق بين النبوة والولاية:

الفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام يفصل من الله وحيا ، ومعه روح من الله فيقضي الوحي ويختتم بالروح ... والولاية لمن ولي الله حديثه على طريق أخرى ، فأوصله إليه فله الحديث ، ويفصل ذلك الحديث من الله عز وجل ، على لسان الحق معه السكينة ، تتلقاه السكينة في قلب المحدث ، فيقبله ويسكن إليه²

ثم يذكر خاتم الأولياء فيقول: لما قبض الله عز وجل نبيه ﷺ صير في أمته أربعين صديقا بهم تقوم الأرض ، وهم آل بيته ، فكلما مات واحد منهم خلفه من يقوم مقامه ، حتى إذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الدنيا إبتعث الله وليا اصطفاه واجتباها ، وقرّبه وأدناه ، وأعطاه ما أعطى الأولياء ، وخصّه بخاتم الولاية ، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر

¹ التعريفات الاعتقادية لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف - ص 322

² الفتوحات المكية لابن عربي، ج 4 الباب الثالث والأربعون، بتحقيق عثمان إبراهيم يحيى مذكور ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 م، ص 71.

الأولياء فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية على سبيل ما وجد عند مُحَمَّدٍ ﷺ من صدق النبوة فلم ينله العدو , ولا وجدت النفس إليه سبيلا إلى الأخذ بحظها من الولاية.

فإذا برز الأولياء يوم القيامة واقتضوا صدق الولاية والعبودية وجد الوفاء عند هذا الذي ختم الولاية تماما ، فكان حجة الله عليهم وعلى سائر الموحدين من بعدهم ، وكان شفيعهم يوم القيامة ، فهو سيدهم ، ساد الأولياء ، كما ساد الأنبياء ، فينصب له مقام الشفاعة ، ويثني على الله تعالى ثناء ويحمده بمحامد يقرّ الأولياء بفضله عليهم في العلم بالله تعالى.

فلم يزل هذا الولي المذكورا في البدء ، أولا في الذكر ، وأولا في العلم ، ثم هو الأول في المشيئة ، ثم هو الأول في اللوح المحفوظ ، ثم الأول في الميثاق ، ثم الأول في المحشر ، ثم الأول في الجوار ، ثم الأول في الخطاب ، ثم الأول في الوفادة ، ثم الأول في الشفاعة ، ثم الأول في دخول الدار ، ثم الأول في الزيارة ، فهو في كل مكان أول الأولياء⁽¹⁾

¹ التَّصَوُّفُ المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير الباكستاني، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان الطبعة:

الأولى، 1406 هـ - 1986 ، 193

المحاضرة الثامنة النبوة والإمامة.

1. **تعريف الإمامة لغةً:** الإمامة في اللغة مصدر من الفعل أَمَّ تقول : أمَّهم وأمَّ بهم:

تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام : كل ما ائتم به من رئيس أو غيره.⁽¹⁾

ويقول ابن منظور : الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين

..والجمع : أئمة، وإمام كل شيء قيِّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا مُحَمَّدٌ

رسول الله - ﷺ - إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأمت القوم في الصلاة إمامة، وائتم

به : اقتدي به.

والإمام : المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم، وإمام المثال ما امثل

عليه، والإمام : الخيط الذي يُمدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء..⁽²⁾

وقال صاحب (تاج العروس) : (والإمام : الطريق الواسع، وبه فُسِّرَ قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا

لِيَأْمَامٍ مُّبِينٍ ﴾³ .

1 القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ج4، ص78

2 لسان العرب، لابن منظور، ج 12 ص 24 (مادة أمم).

³ سورة الحجر، الآية 79

أي: بطريق يؤم، أي: يقصد فيتميز (قال): والخليفة إمام الرعية، قال أبو بكر: يقال فلان إمام القوم معناه: هو المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيسًا كقولك: إمام المسلمين(، قال): والدليل: إمام السفر، والحادي: إمام الإبل، وإن كان وراءها لأنه الهادي لها.⁽¹⁾

وقال الجوهري في الصحاح: الأُمُّ بالفتح القصد، يقال: أمّه وأممه وتأممه إذا قصده إلى غير ذلك من المعاني المقاربة. ومن جميع ما سبق نلاحظ تقارب مدلول هذه الألفاظ عند أصحاب اللغة.²

2. تعريف الإمامة اصطلاحاً³

أما من حيث الاصطلاح: فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات، وهي وإن اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني، ومن هذه التعريفات ما يلي:

ما ذكره **الماوردي** حيث قال: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة

الدنيا به

¹ تاج العروس، (ج31/ص244، 245) مادة (أمم).

² الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبدالله بن عمر الدميحي، ص: 27

³ الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السننية على الإنترنت، dorar.net، عدد الأجزاء: 11، تم تحميله في/ ربيع الأول 1433 هـ، ص25

ويقول إمام الحرمين الجويني : الإمامة رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامّة في مهمات

الدين والدنيا

وعرفها النسفي في عقائده بقوله: نيابة عن الرسول عليه السلام في إقامة الدين بحيث يجب

على كافة الأمم الاتباع.

ويقول صاحب المواقف: هي خلافة الرسول - ﷺ - في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه

على كافة الأمة.

أما العلامة ابن خلدون فيعرفها بقوله : هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في

مصالحهم الأخروية والدينيّة الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى

اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة

الدنيا به، إلى غير ذلك من التعريفات التي تدور حول هذه المعاني¹.

3. القرآن وعقيدة الإمامة الشيعية: من يتأمل كتاب الله الكريم الذي جعله الله نوراً

تتدي به العقول والقلوب، سيجد أنّ الإيمان بكون رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء

والمرسلين يحصل به مقصود الإمامة في حياته وبعد مماته.

¹ الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبدالله بن عمر الدميحي ، ص 28

فالذي يؤمن بأنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هو رسول الله حقاً وأنَّ طاعته واجبة إن قيل بأنه يدخل الجنة استغنى عن مسألة الإمامة ولم يلزمه طاعة سوى الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن قيل لا يدخل الجنة إلا باتباعه الإمام كان هذا خلاف نصوص القرآن الكريم، فإنه سبحانه وتعالى أوجب الجنة لمن أطاع الله ورسوله في غير موضع من القرآن ولم يعلق دخول الجنة بطاعة إمام أو إيمان به أصلاً كمثل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾¹

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾²

ولو كانت الإمامة أصلاً للإيمان الذي لا يقبل الله عمل العبد إلا به كما تقول الروايات الشيعية، لذكر الله عز وجل الإمامة في تلك الآيات وأكد عليها لعلمه بحصول الخلاف فيها بعد ذلك، ولا أظن أحداً سيأتي ليقول لنا بأنَّ الإمامة في الآيات المذكورة ضمناً تحت طاعة الله، وطاعة الرسول لأنَّ في هذا تعسفاً في التفسير، بل يكفي بياناً لبطلان ذلك أن نقول بأنَّ طاعة الرسول في حد ذاتها هي طاعة للرب الذي أرسله، غير أنَّ الله عز وجل لم يذكر طاعته وحده سبحانه ويجعل طاعة الرسول مندرجة تحت طاعته بل أفرداها لكي يؤكد على ركنين مهمين في عقيدة الإسلام طاعة الله، وطاعة الرسول، وإنما وجب ذكر طاعة الرسول بعد

¹ سورة النساء، الآية 79

² سورة النساء ، الآية 13

طاعة الله كشرط لدخول الجنة لأنّ الرسول مبلّغ عن الله وأنّ طاعته طاعة لمن أرسله أيضاً،
ولما لم يثبت لأحد بعد رسول الله ﷺ جانب التبليغ عن الله، فإنّ الله عز وجل علّق الفلاح
والفوز بالجنان بطاعة رسوله والتزام أمره دون الآخرين.

وتمت دليل قاطع يقطع على الشاك دربه ويزيل عنه الشك وهو قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾¹

¹ سورة النساء الآية 59

فإنّ الله عز وجل أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منهم، لكنه جعل الرد عند التنازع إلى الله والرسول دون أولي الأمر، لأنّ الله عز وجل هو الرب، والرسول هو المبلغ عن الله وهو معصوم لا يخطئ في بيان الحق عند التنازع، أما أولو الأمر فليسوا بمعصومين وإلا لجعل الله الرد إليهم، لكن الله عز وجل أظهر بهذه الآية أنّهم كسائر الناس يرجعون في التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه، وقد يكونون خصوماً لأحد ويكون الحق معه حين الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه. فأين يذهب القائلون بنظرية الإمامة من دلالة هذه الآية الكريمة؟!

ولماذا يتعمدون اجتزاء الآية الكريمة عند الاستدلال بها فيذكرون الجزء الأول الدال على وجوب طاعة الله وطاعة الرسول وطاعة أولي الأمر، ويتعمدون إغفال الجزء الثاني من الآية الذي يهدم نظريتهم القول بالإمامة الإلهية بعد النبي طعن في ختم نبوته¹

¹ ثم أبصرت الحقيقة، مُجّد سالم الخضّر، الطبعة: الثانية، 1428 هـ - 2007 م، ص151

خاتمة

من خلال المفردات المطروحة في هذا المقياس، يتبين أن موضوع النبوة والوحي يمثل ركيزة أساسية في بناء العقيدة الإسلامية، حيث يُسهم تناول هذه المفاهيم بعمق في ترسيخ الإيمان الصحيح وتكوين رؤية متكاملة لمصادر التشريع والهداية في الإسلام.

وقد تم التطرق إلى قضايا مركزية مثل: تعريف الوحي والنبوة، والتمييز بين النبوة والرسالة، وبيان إمكانية ضرورة النبوة والحاجة إليها، فضلاً عن حقيقة النبوة وعلاماتها وشروطها. كما تناول المقياس الجوانب المعجزة المرتبطة بالنبي ﷺ، وخصوصية معجزته الخالدة المتمثلة في القرآن الكريم، مقارنةً بالمعجزات السابقة.

وتُعد مباحث عصمة الأنبياء، وختم النبوة، وأثر الإيمان بها، من المسائل التي تعزز فهم الطالب لطبيعة العلاقة بين الإيمان بالنبوة والإيمان بالله تعالى وكتابه العزيز، مما يرسخ تكامل العقيدة واتساقها.

كما أُدرجت ضمن المفردات قضايا مقارنة، مثل: علاقة النبوة بالولاية، والنبوة بالإمامة، لتمكين الطالب من إدراك الفروق بين المفاهيم العقيدية داخل الفكر الإسلامي، خاصة عند النظر في اتجاهات الفرق والطوائف المختلفة.

وبذلك يكون هذا المقياس لبنة أساسية في إعداد الطالب للانتقال إلى مستويات أعمق من التخصص في العقيدة الإسلامية ومجال مقارنة الأديان، حيث يكتسب أدوات الفهم والتحليل والمقارنة والرد على الشبهات المتعلقة بهذه القضايا الجوهرية.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الإيتقان في علوم القرآن، السيوطي، الطبعة: 1394 هـ / 1984 م، المحقق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبدالله بن عمر الدميحي ،
- التَّصَوُّفُ المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير الباكستاني ،الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986
- تفسير ابن كثير ج3، ص 494.
- تفسير البغوي (ج6/ 565)
- تفسير الطبري ج22، ص 16،
- التفسير الكبير، ج 1 ،
- ثم أبصرت الحقيقة، مُجَّد سالم الخضر ، الطبعة: الثانية، 1428 هـ - 2007 م، ص151

- جامع الأصول في الأولياء للكمشخاوي ، ط المطبعة الوهيبية طرابلس 1397 هـ.ص 70
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج 5، ص 435
- الحاجة إلى الرسل - الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات- المكتبة الشاملة،
- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م،
- حقيقة البابية والبهاية، للشيخ محسن عبد الحميد
- درء تعارض العقل والنقل ج9، ص66.
- دراسات قرآنية، للدكتور عدنان زرزور، ص 59.
- رسالة التوحيد، محمد عبده ، ط. دار إحياء العلوم
- رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد المليبي
- الرسل والرسالات؛ للدكتور عمر الأشقر، ص 121 الطبعة الثالثة 1405 هـ، الكويت، مكتبة الفلاح

- روضة التعريف ، للسان الدين بن الخطيب،
- شرح الأصفهانية ج2
- شرح القواعد السبع من التدمرية، المؤلف: يوسف بن مُجَّد علي الغفيص، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج21، ص4.
- [<http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم

الدرس - 21 درسا

- عصمة الأنبياء، الرازي ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ
- عقيدة ختم النبوة ، للدكتور أحمد بن سعد الغامدي
- فتح الباري ، لابن حجر ، ج10
- الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين لأبي الظفر ظهير الدين القادري ، المطبعة الخيرية مصر الطبعة الأولى 1306 هـ
- الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسني ص 264 ط عالم الفكر القاهرة 1983 م.
- الفتوحات المكية لابن عربي، ج 4 الباب الثالث والأربعون ، بتحقيق عثمان إبراهيم يحيى مدكور ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 م
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ، تح الأرنؤوط، مكتبة مؤيد.

- فصوص الحكم لابن عربي بتعليقات الدكتور أبي العلاء العفيفي ج 1 ، ط دار الكتاب العربي بيروت ،
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي ، ج4، ص78
- الشفا للقاضي عياض، المجلد الثاني،
- لسان العرب؛ لابن منظور، ج5 الطبعة الثالثة ص369 هـ 1414 - بيروت دار صادر..
- لوامع الأنوار البهية للسفاريني، المجلد الأول، ص : 49
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6 / 93، مادة وحي
- مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع (ص 27 - 28) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة مُحمَّد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، ج4 ، جمع وترتيب فهد السليمان، الطبعة الأخيرة 1413 هـ دار الوطن للنشر
- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، مُحمَّد علي الحسن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1، 1421 هـ - 2000
- مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحمَّد عبد العظيم الزرقاني ، دار السلام للطباعة والتوزيع والنشر ، مصر.

- منهج الشيخ مُجَّد رشيد رضا في العقيدة، تامر مُجَّد محمود متولي الناشر: دار ماجد عسيري الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م
- المواقف، الإيجي، ط1، دار الجيل، بيروت .
- الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 11
- النبوات، ابن تيمية، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م،
- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ، الناشر: دار الكلم الطيب ، دار العلوم الانسانية ، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ - 1998 م
- الوحي المحمدي، مُجَّد رشيد رضا، مطبعة المنار ، مصر.

فهرس المحاضرات

الصفحة	السداسي الرابع	المحاضرة
03.....		مقدمة.....
05.....		المحاضرة الأولى : الوحي.....
19.....		المحاضرة الثانية:.. النبوة.....
31.....		المحاضرة الثالثة : دلائل النبوة وشروطها.....
42.....		المحاضرة الرابعة:.. المعجزة والكرامة.....
48.....		المحاضرة الخامسة:.. ختم النبوة.....
63.....		المحاضرة السادسة: عصمة الانبياء.....
71.....		المحاضرة السابعة:.. النبوة والولاية.....
81		المحاضرة الثامنة:.. النبوة والإمامة.....
88.....		خاتمة.....

90..... فهرس المصادر والمراجع

95.. فهرس المحاضرات